الشنشيلا

الطبعة الأولى
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

اسم العمل : الشنشيلا
اسم المؤلف: طارق الشابوري
التدقيق اللغوي: منى حلمي
تصميم الغلاف: وحيد محمد
الإخراج الداخلي: عمر أسامة
رقم الإيداع: ٢٠٥٥٤ / ٢٠٢٤
الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٨٩٩٩-٤٩-٥

مَسَار للنشر و التوزيع
شارع ونس - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية - مصر
01020439639
massar.pub1@gmail.com

جميع الحقوق محفوظة، ولا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، ورقيًا أو إلكترونيًا، سواء بشكل كامل أو جزئي أو عرضه مجانًا عبر أي وسيلة وبأي شكل من الأشكال من دون الحصول على تصريح خطي من دار مسار للنشر.

الشنشيلا

أنوار البحر

طارق الشابوري

مَسَار
للنشر و التوزيع

إهداء

إلى كل محب لنسمات الشمال، إلى كل ساعٍ وراء رزقه بهذا البحر الواسع، إلى روح أبي الصافية صفاءً الماء أهدي هذا الكتاب.

طارق الشابوري

١- الشنشيـلا

(أنوار البحر)

حيث توجد الأسماك العائمة تدور الشنشيلا بغزلها لتجمع ما يعوم من أسراب الأسماك بعتمة مياه البحر نهارًا قبيل الغروب وبعد الشروق، ومع غياب الشمس في ليالي الظلام، حيث لا قمر في السماء تنير فلوكات[١] الشنشيلا أنوارها متحدية أنوار المدن المجاورة، وأنوار البحر الأخرى.

في ليالي صيف المتوسط ينتشر رجالها بالمدينة الواقعة على الشاطئ الشمالي لمصر، وفي ليالي الشتاء يتجهون نحو البحر الأحمر، حيث الخليج الهادئ، والرزق الوفير، هم رجال الشنشيلا، وهذا عملهم وقصتهم.

١ الفلوكة: مركب صغير الحجم.

-٢ برج البرلس (شتاء ٩٣)

الشوايشة (الريس جمعة أبو شوشة)

(مركب البركة من الله)

الجو عاصف، الأمطار لم تتوقف الليلة الماضية، مياه البحر تخرج من تحت بيوت المدينة العائمة على رطوبة الجو، ومياه البحر المتسربة إلى البحيرة، الكل يرزخ تحت طائلة الماء، عبق الهواء بخار ثلجي، كل أسِرَّةِ القرية عالية مرتفعة، مصنوعة من النحاس ذو قوائم عالية عن الأرض حتى لا يطالها الماء، البيوت مطلية بألوان السماء، والبحر هو لونهم المفضل، الكل ينتظر انقشاع العاصفة وسطوع الشمس كي يخرجوا لمصالحهم ومراكبهم في البحيرة، والنساء في تنظيف أثر المياه قدر ما يستطيعون، وتدفئة الأبناء، وتسريح شعور بناتهن الكستنائي اللون الذي يغلب عليه الصفار. أناس بسطاء يغلب على لكنتهم حرف القاف المقلقل.

سيارات الميكروباص تدخل البلد منذ الفجر تقطع الشوارع الضيقة؛ لتقف عند مسجد المكان، وما هي إلا لحظات ويأتي الأبناء يحمل كل منهم تلك الحقائب الجلدية العتيقة الطراز، إنها حقائب سفر السبعينات، حيث كان الأجداد يعملون في ليبيا، والسعودية، والكويت، والعراق، نعم.. كم يعيش هؤلاء في غربة طوال أيام العمل؟!

قلَّ السفر خارج مصر، وما زالت غربتهم في الداخل، إنهم صيادوا

الشنشيلا، فهم صيفًا يعملون بالساحل الشمالي لمصر الإسكندرية، أبو قير، دمياط، بورسعيد، وفي الشتاء يعملون بالبحر الأحمر، السويس، والغردقة والأتكة[٢]، يا لها من أيام تمر سريعًا!؟

عملهم في الضلمة[٣]، يسافرون إلى عملهم في العشرين من كل شهر عربي لمدة عشرين يومًا، ثم ما أن يطول بقاء القمر في السماء إلا يعودون في يوم العاشر من الشهر التالي، فالقمر يعيق طبيعة عملهم في صيد السمك.

يعتمدون علي صيد أسماك البحر العائمة

والمهاجرة، كالسردين والتونة بأنواعها، والمياس، والهمبوكة أو الهورس فيش، وكل سمك يحب الضوء، فهم يضيئون ليل البحار بالمصابيح الغازية؛ ليجتمع السمك تحت تلك الأنوار، وما إن يغيب القمر إلا ويبدأون

في رمي شباكهم حول تلك الأنوار المثبتة على الفلوكات، حيث تجمعت الأسماك؛ ليحصدوا ما تجمع من سمك في شباكهم.

اليوم وجهتنا السويس، حيث مركب (البركة من الله) الريس جمعة أبو شوشة أخذ المركب من صاحبه بالحصة[٤]، للرجال النصف وللمركب النصف والرزق على الله.

سيارتان ميكروباص سيقلان ثلاثين رجلًا، هم طاقم العمل، معهم بعض

---

٢ الأتكة: ميناء لسفن الصيد جنوب البحر الأحمر.

٣ الضلمة: لفظ يطلقه الصيادون على أيام المحاق والهلال من أطوار القمر.

٤ الحصة: نظام المشاركة بين الرجال الصيادين وصاحب السفينة.

الأولاد بنصف حصة، فهم لا يحسبون رجالًا، فلم يتعلموا بعد كيفية ترقيع الغزل[٥]، ولا يعملون بالمهام الصعبة على السفينة، يخدمون الرجال، يعدون الشاي، ويساعدون في تجهيز الطعام، ما زالوا يتحسسون طريق العمل بالبحر.

السائق (عبودة أبو حسين): يلا يا جدعان، الهمة شوية.

يحمل متاعهم، ويرصها فوق شبكة السيارة، ويطلب من الرجال دخول السيارة حتى يسرعوا في التحرك، فالمسافة بين برج البرلس والسويس ليست بالقريبة، ست ساعات من السفر.

يركب الرجال، الريس جمعة بجوار السائق، والجميع بالخلف، كلًا منهم يودع من أتى من أهله، يقفون بجوار المسجد، يلوحون لهم، يدعون الله أن يرزقهم الخير في رحلتهم تلك. المركب رخصته بالخليج[٦] حيث الرزق الوفير.

ذكريات الطريق

(سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون). دعاء السفر على لسان الريس جمعة، والكل يردد وراءه.

سيارتان تقلان ثمانية وعشرون رجلًا وأربع فتيان، إنهم طاقم العمل، كلًا منهم يعلم مهامه على المركب، الطريق طويل، مؤلم، إنها بداية الفراق عن الأهل، لن نراهم لعشرين يومًا، كم هو صعب الفراق! لكنه طلب الرزق،

٥ ترقيع الغزل: أي إصلاح ما تقطع منه.
٦ رخصة الخليج: أي مسموح له بالصيد داخل خليج السويس.

تدور الأذهان دورة الآلام والأحلام ما بين هموم يحملها كل منهم، وآمال يسعون لتحقيقها.

الريس جمعـة: شغلنا قرآن يا عبودة.

عبودة: عيوني يا ريس جمعـة.

الآيات تتحدث عن هبات الله، يهب لمن يشاء إناثًا ويهب لمن يشاء الذكور أو يجمع لـه ما بين الاثنين.

نعم، إنها قدرة الله، اللهم لا اعتراض على قدرك.

يسرح عبودة بذهنـه في زوجتـه نادية جمعة التي يحبها كثيرًا وتحبـه هي أيضًا، لكن الله لم يشأ بعد أن ينجبا بالرغم من مرور تلك السنوات الخمس.

أمـه تريد منـه أن يتزوج بأخرى، وقلبـه يمنعـه، الكل صامت يدعو الله لهما في صلواتهم خاصة حماه وحماتـه، طيبا القلب، صاحبا العطاء الجم.

الأطباء لا يرون ما يمنع حدوث الحمل، لكنها إرادة الله في خلقـه، وقدره الذي يجب الاستسلام لـه.

يتسلم الفكر رأسـه بين أخذٍ و رد، وكأن شيطان قد قرأ تناقضات قلبـه.

كلام أمـه يرن في أذنـه أن تزوج الثانيـة ليرزقك الله منها الولد قبل أن يجري قطار العمر بك، ومشهد الزوجة الصالحة وهي تصلي بالليل وتدعو الله لـه أن يرزقـه الخير، وسعيها الدائم لأن ترضيـه بلا توان ولا تردد، وعهده السابق لأبيها بألا يتزوج عليها، وعلمـه بأنها سوف

ينكسر قلبها إن فعل مع حبـه الشديد لها، فهي جيدة في كل شـيء، نموذج تربى على جلب الخير والسعادة، داخل البيت تجيد كل شـيء، التدبير والطبخ والعمل في غزل الشباك؛ لتزيد من دخل العائلـة، كل ما يحلم بـه

رجل في زوجتـه، فيها عائلـة طيبـة، وأهل صالحون، فكيف يفقد كل هذا بلا سبب تتحملـه هي؟! فلا دليل علـى مرضها، ولا شـيء إلا إرادة الله في تأخير حملها.

حبها طاغ في قلبي وشوقي لها لا ينقطع، بحضور أو غياب ترضيني في نفسي، ومالي، وأهلي، حتى أمي تحبها، لولا موضوع الحمل والأبناء.

العروض كثيرة في بنات البلدة ونساؤها، الكل يتمنى إشارة ذلك الشاب المجتهد الذي ترك الصيد وامتلك سيارتين ميكروباص، يدير أموره بحكمـة، فاز بـه الريس جمعـة زوجًا لابنتـه، لكنها لم تنجب حتى الآن.

الكل يسعى لتزويجـه الثانيـة، إما رغبة فيـه أو حسدًا لحال الريس جمعـة، ونكاية فيـه بلا سبب إلا الحقد والحسد الدفين.

الريس جمعـة ينظر في المرآة، فإذا بـه يرى عيني عبودة وقد سرحت عن الطريق، ودخلت في مشاهدة زوجتـة، وجمال حياتهما معًا.

يتذكر كل لحظاتها الحلوة.. جدها، دلالها، وعملها، وقوة ساعدها الذي دعاها يومًا لاختبار قوتها، فحملتـه وهي الأقل منـه وزنًا، واحتضنتـه كطفل، وصعدت بـه إلى سريرها، وقذفت بـه

بقوة عليـه بعد أن شعرت بالإرهاق، فإذا بـه يبتسم علـى تلك اللحظات

الجميلـة.

الريس جمعـة: ضحكنا معاك يا عم عبودة، خير، إيـه اللي واخد عقلك.

والبسمة على شفتيـه، كأنـه قرأ ما يدور بذهنـه، فالريس جمعـة لمَّاح، يعلم ما يدور بذهن عبودة، لكنـه لا يملك لـه ما يداوي جراحـه، ولو طاوع أم عبودة في ما تريد لكسر قلب ابنتـه التي لا ذنب لها ولا علـة فيها، ولقدم ما يفسد الحياة على أسرة يرى سعادتها كاملـة، لولا قدر الله في أمر الأولاد.

الريس جمعة: ربك هييسرها بإذن الله، وهيفرح قلبك يا عبودة، بس دي اختبارات ربك لأهل الدنيا، واللي ربنا بيحبـه دايمًا عاوزه يفتكره، فيبعت بلاؤه حتى نتذكره ونعود إليـه، قال تعالى: «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليـه فجعلناه سميعًا بصيرًا».

عبودة: ونعم بالله يا أبا جمعة، ربنا هو المُطلع على القلوب، ويعلم السر وأخفى.

الريس جمعـة في سره، وقلبـه وخيالـه وما لـه من حواس ينظر الى أفق السماء، يحدث رب العالمين: اللهم يا مجيب الدعاء الحمد لك في السراء والضراء، يا واحد في ملكوت السماء، يا عالمًا بخفايا القلوب ارزق نادية وعبودة الذرية

الصالحة، ولا تكسر بقلوب عبادك يا كريم يا ذا الجلال والإكرام.

٣-صيف٩٣

*سفينة مبروك الجديد

*طرحات البحر المتوسط الإسكندرية

*الطرحة الأولى (غروق نيلسون) هجوم الدلافين

تتجهز المركب مبروك الجديد، ويرتب رجال الريس علاء وهيب حالها.

السفينة خلفها يتم تحميل عدة الشنشيلا وثلاثة فلوكات صغيرة مربوطة بالخلف، وأخرى صغيرة (دنجل) تحملها المركب دائمًا بأحد جوانبها. خلف كل فلوكة منصة تحمل عددًا من المصابيح الغازية (الكلوبات)، وبكل مركب صغير سبع اسطوانات من الغاز لإضاءة المصابيح.

كل رجل من الرجال يعلم مكانه وعمله، من يمسك بالمناقيش[٧] ويرقع ما فسد من بدن الغزل، ومن يجلس بالفلوكات يتأكد من سلامة الكلوبات[٨] ووصلات الغاز، والتأكد من سلامة كل فلوكة وصلاحيتها للإبحار مع المركب، من يطبخ الطعام، من يدهن الصدأ.. خلية عمل لا تنفك من مهمة حتى تخرج لها أخرى، فاليوم هو العشرون من الشهر العربي، أول الضلمة، وأول سروح[٩] لنا هذا الموسم نعمل منذ الصباح. الساعة قاربت الثانية ظهرًا،

---

٧ المناقيش: أداة تستخدم لرقع ما قطع من الغزل.

٨ الكلوبات: أحد نماذج المصابيح التي تعمل بالغاز.

٩ السروح: هو معنى العمل داخل البحر ويطلق علي مدة الخروج بلغة صيادو

حان وقت الخروج، كل شيء علـى ما يرام: الغزل ،الفلايك، الطعام.

كل شيء تمام يا ريس علاء، تمام يا عم سيد. عم السيد السخاوي هو الرجل الثاني بالمركب، يطلق عليـه السكندو(The second man) أي المساعد.

هو ريس الرجالـة، والمسؤول عن سلامة الغزل، والحبال، والرصاص.

الريس علاء: (ألسطا المخطاف). بصوت مرتفع؛ ليبدأ الرجال في الاجتماع بمقدمة المركب لسحب مخطاف السفينة، والانطلاق نحو الخروج من الميناء في اتجاه الشرق، وعلى بوابة الميناء يعود الرجال للاجتماع بمؤخرة المركب، وفي صوت واحد بعد سماع نفير زيادة السرعة الموجـه إلى ممسك المناورة[١٠]: (الفاتحة للنبي- الفاتحة للنبي).

إنـه النداء الأخير قبل الخروج من بوابة الميناء الشرقي؛ لتصبح الإسكندرية على يمين المركب بشواطئها وعماراتها، كأنها تنظر إليهم وتترقب الصباح حيث يعودون إليها بصيد الليل الذي خرجوا للتو لجمعـه.

وجهتهم اليوم خليج أبي قير، ساعتان من الإبحار باتجاه الشرق، صوت الماكينة يتجاوب مع الرياح والأمواج، وهرج الرجال الثلاثون، وكأنها سيمفونية لا يفهمها إلا رجالها.

دلافين البحر تسابق المركب كأنها تلعب معها سباق المسافات الطويلة،

البحر المتوسط بمصر.

١٠ المناورة: هي الأداة التي تستخدم للتحكم بحركة السرعة والإبطاء بالسفينة.

وطيور النورس باختلاف أنواعها خلف المركب، علَّها تنال شيئًا مما يقذفه الرجال بالبحر أو علَّها تلتقط سمكة من الأسماك الطائرة حول السفينة التي تشق طريق الشرق في سلاسة وثبات.

ها هي غروق[١١] تظهر، إنها جزيرة صغيرة لا يتعدى طولها الثلاثمائة متر، كأنها سفينة مبحرة على رأس خليج أبي قير.

يتجهز سعد مبروك ومساعده رجب علي للنزول بالفلوكة الأولى.

الريس علاء: على الله. إنه نداء ترك الفلوكة في مكانها الذي اختاره لها الريس علاء بناء على احداثيات القاع ومناسبة المكان للصيد بالليل، وهكذا الثانية، ثم الثالثة، والمسافة بين كل فلوكة وأخرى كيلو مترين من الإبحار.

الشمس على وشك الغروب، يتم إنزال الفلوكة الرابعة (دنجل الانقاذ)، وربطها بالمركب.

تغيب الشمس، يقوم كل من بالمركب بالذهاب للراحة إلا الريس علاء وعم السيد السخاوي ينتظران حتى يتأكدا أن كل فلوكة قد أضاءت مصابيحها كاملة، وتصل الإشارة المتفق عليها برفع شعلة من النار أن الأمر استتب، وكل شيء على ما يرام، القمر في طور المحاق، والأسماك لا تجد بدًا إلا أن تجتمع تحت أنوار الفلايك، إنها أنوار البحر التي حولت حول الجزيرة إلى مدينة مضيئة، كل مركب قد أطفأ أنواره يرقب

١١ غروق: جزيرة صغيرة أمام ساحل أبي قير يطلق عليها أهل الإسكندرية جزيرة نيلسون نسبة إلى قائد الأسطول الانجليزي الذي دمر الأسطول الفرنسي بخليج أبو قير عام ١٧٩٨م.

أنوار الفلايك الصغيرة، وينتظر أي بشارة لعل سرب ضخم أن يجتمع تحت ضوء من الأضواء، فتكون ليلة خير وبركة.

نجوم الليل، والشهب، وخط ضوء المجرة، أضواء السماء تنظر إلى أنوار البحر المبهجة

كأنهما يتسابقان في إظهار الجمال، مدينة من الأنوار حول جزيرة غروق(نيلسون).

الليل رائع، والسكون سيد الموقف، الكل ذهب في ثبات النوم؛ لينال قسط الراحة قبل الشقاء القادم، لا يكسر ذلك السكون إلا شخير الرجال المتصاعد من شدة التعب. بيد أن هناك من لا يجد النوم طريقًا لعينيه، أولهم سعد مبروك ريس الفلوكة الأولى، فقد أنهى عمله أولًا برمي المخطاف كي يثبت فلوكته في مكانها، ثم أشعل مصابيح الغاز بالمنصة خلف الفلوكة، ثم رفع شعلة النار ثلاث مرات وأطفأها؛ ليخبر الريس علاء أو عم السيد السخاوي أن الأمور على ما يرام، ثم قام بعمل كوبين من الشاي له ولرجب، وتناولا معًا بعض البكاكين[١٢]، ثم طلب من رجب الخلود للنوم في أرضية الفلوكة، وصب لنفسه كوبًا أخر من الشاي، واستند على حرف فلوكته ينظر إلى البحر الواسع، يتابع غروب الشمس السريع، ويعود بفكره إلى هناك حيث الزوجه والأولاد.

(ست البنات) زوجته الجميلة الهادئة بيد أن مرضها الذي أصيبت به منذ عامين أصابها بغم وهم، سرطان الغدد، ألمها شديد، والعلاج مكلف،

١٢ البكاكين: نوع من الفطائر يصنع بالعجين واللبن، منتشر في دلتا مصر.

والأولاد صغار لا يجدون من يرعاهم، وهي من هي في جمالها الذي ذهب عنها، وجهدها الذي فقدت الكثير منـه لولا وجود ابنتـه الوضيئة (فاطمة)، ريحانـة البيت الطيبـة، ذات الأربعة عشر ربيعًا، تحملت مسؤولية البيت مبكرًا جبرًا لا اختيارًا، كأنها أم أخواتها (محمود وسارة)، ترعى الأم وتعتني بالأبناء، وتدير أمور البيت.

سعد يرفع يده للسماء: يا رب، يا سامع الدعاء، بحق طهر ماء البحر، وسعـة السماوات والأرض، يا مفرج الكروب، ومزيل الهم من القلوب، اشفي ست البنات، واحفظها بحفظك، وبارك في أولادي يا رب.. يا رب.. يا رب.

تختلط الدموع بماء البحر منهمرة، وهو يلح في الدعاء ينظر إلى صفحة الماء المضاءة لا يري إلا وجـه ست البنات، وفاطمة، ومحمود، وسارة، يحدثهم ويحدثونـه، يسمعهم وينصحهم، فيستجيبون، يبتسم فيضحكون.

وفجأه وبغير ما توقع يوقظـه من حالتـه صوت الماء من حولـه، والأسماك تحت الأنوار، وقد انتفضت هاربة في مسارات مختلفة، إنها الدلافين اللعينة، لا تنفك أن تهاجم الأسراب المجتمعة تحت الأنوار؛ لتفسد على ريس الفلوكة فرحتِـه، فلا يجد من بد إلا أن يسحب المخطاف قليـلًا، ثم يرمي بـه مرة أخرى؛ ليغير من مكانـه ذلك الذي هاجمتـه الدلافين، ويقف سعد مبروك يشد طرف حبل المخطاف وسط أمواج البحر كأنـه بطل أسطوري يمسك بلجام تنين الماء، يدفعـه للأمام، وأمواج البحر تتلاطم مع حركتـه ومن حولـه هذا الكم الضخم من النور الذي يملأ تلك البقعة الشمالية جزيرة نيلسون.

الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً غاب القمر

وأفل ضوءه.

سعد: اللهم صلي على سيدنا محمد قوم يا رجب.

رجب منتفضًا: في إيـه يا ريس سعد.

سعد: أسراب ضخمة من الأسماك تحت النور، نور المشعال علشان الريس علاء يجي يرمي طرحتـه.

بسرعة يا رجب.

يسرع رجب نحو المشعال، يشعل النار، يرفعها للمركب، يعلو اللهب في الهواء.

الريس علاء: ألسطا[١٣] يا رجالة. سعد رفع مشعال بسرعه يا عم السيد.

يرفع مخطاف السفينة لتتحرك إلى الفلوكة المرافقة، ومعها اثنان من الرجال يلقون مخطافها الصغير، تدور الماكينة نحو مسار فلوكة سعد. كل سفينة تعرف موقع فلوكاتها. إنها المهنية والتركيز.

على بعد مائة متر أو أكثر يعلو النداء من عم

السيد: ألسطا يا سعد.

سعد: أيوا يا ريس ألسطا.

يسحب سعد مخطاف فلوكتـه، وينزل مجدافي الفلوكة، يستدير الريس

١٣ ألسطا: نداء الصيادين للتجهز للعمل كأنـه ٩نداء سرعة الاستعداد

علاء بالسفينة ليضبط رمي الشباك؛ ليعلو النداء بصوت مرتفع: (على الله).

لتنزل الشباك بالماء ويدور الريس علاء حول الفلوكة، ويدور معها الغزل، يلتقط السيد السخاوي أول الغزل الذي كان آخره خلف السفينة، يجتمع الطرفان، فلنسحب

الرصاص، الحبال على الأوناش، وصل بدن الغزل الآن اكتمل الشكل، الفلوكة في الوسط، وغزل الشنشيلا كمظلة مقلوبة أسفل منها، والأسماك التي كانت مجتمعة تحت أنوارها هي الأن في فخ الغزل.

يبدأ حادي السفينة عم متولي صاحب الصوت العزب محفزًا الرجال لسحب الغزل من الخلف والأمام:

هيلا هيلا صلي عالنبي

دي الصلاة مكسبي

هيلا هيلا صلي عالنبي

إنه الرزق الوفير، أسماك السردين، وبعض أنواع التونة، وأسماك الدراك، إنها أسراب البحر قد وقعت في غزل وشباك الشنشيلا، الأسماك يضيق بها الخناق كلما شد الرجال، فتطير في الهواء نحو أنوار المركب في محاولة يائسة للهروب، والريس علاء يطلب من طفلين معهما أن يذهبا إلى مقدمة السفينة حيث كمية من الأحجار يقذفون بها جماعة الدلافين التي تقتنص نصيبها من صيد اليوم بقطع جزء صغير من الشباك؛ ليفر السمك منها، فيلتقطونه بأسنانهم الحادة، إنها اللعبة التي يجيدونها.

الحماس يزيد، والأسماك في هياج داخل الشباك، والحادي عم متولي يحمس الرجال بالغناء، وهم يرددون من خلفه، وكلما زاد في الغناء زادوا وتحمسوا في سرعة السحب، ليس الأمر باليسير، ولكنها متعة الشعور برزق الله الوفير إنهم لا يعملون بأجر ثابت، الأمر متعلق برزق الله، فهم رجال الحصة لا اليومية،

وما يخرج من البحر لهم فيه نصيب، إن زاد زادوا، وإن قل قلوا.

الرزق على الله، والبحر ماؤه طهور، ورزقه حلال، الكميات كبيرة، والكل مبتهج، لولا الدلافين اللعينة التي تقتنص من الأسماك نصيبًا ضخمًا، إنها قصة وحدها.

الرجال: تسلم يا سعد. وسعد في عالم آخر، في دنيا فرحته بذلك الرزق الذي سيعينه على تكاليف مرض زوجته ومصروفات عياله.. هل ستتزوج فاطمة؟ وماذا سيكون مصير محمود؟ وأين تصل سارة؟.

إنها قصة بدأت للتو مع أنوار الفلايك وغزل الشنشيلا، حيث عبق البحر، ورائحة الأسماك أثناء خروجها من الماء بتلك الكثافة؛ لتصب في قلب مبروك الجديد، وسعد ومساعده رجب ذي التسعة عشر عامًا، كلًا منهما يسرح في حاجاته التي ستتحقق بهذا الصيد الكثيف.

سعد في عائلته، ورجب في حبه لفاطمة بنت

الريس سعد مبروك، وأوان الكلام على خطبتها، ومتى يتم ذلك؟؟.

٤-الطرحة الثانية (البريمة)

يونس مرزوق وعلي وهيب

كانت ليلة رائعة لا تحسب إلا لسعد مبروك، تم ملأ جميع طاولات المركب الخمسمائة، وبقي مثلها على سطح المركب، لا يجد عبوات لـه، فكان رزقًا وفيرًا، ألف طاولة من أسماك السردين، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد.

قاربت الساعة الثالثة فجرًا، ومازال الرجال يخرجون الأسماك من الشباك، البسمات تعلو الوجوه، والرضا يملأ النفوس، والألسنة المؤمنة تلهج بحمد الله وشكره، وعم متولي ينشد

بالحب وهم يرددون من بعده.

يا خضيرة يا الملوخية

وبنات الشرق تقطفها.

يا خضيرة يا الملوخية والملوخية زرعناها

إنها الفرحة بالرزق، والرضا بما أرسل الله لهم من خير وفير، لم يكونوا في حاجة إلى تكرار الطرحات، فقد أخذ منهم إخراج السمك من طرحة سعد مبروك ثلاث ساعات كانت كافية بأن يظهر لهم نور الفجر بخيطـه الأبيض، وتنطفئ من حولهم أنوار مصابيح باقي الفلايك، فالأسماك ولت سابحة بعيدًا

نحو ضوء الشمس المنبثق، إنها نهاية رحلة النوم، وطريق العودة الذي نادى بـه الريس علاء بعد أن ربط جميع الفلايك، وجمعها خلفـه فلا مكان لرفعها اليوم فوق المركب؛ لأن الأسماك قد ملأت المكان.

الكل مبتهج يستبشر بسعد مبروك الرجل الصالح الداعي دائمًا، ومع أكواب الشاي، وتناول البكاكين، والخلود للراحة لحين دخول الميناء والاسكندرية بأضواء خافتة على يسار المركب مع نسمات هواء شمالية غربية، وندى الصباح على الأسطح كأنها قطرات دواء تشفي عليلًا عاد للتو من رحلة مرض وشقاء.

الكل يخلد للنوم من العناء، إنه الميناء الشرقي الساعة السابعة صباحًا، صخب الميناء وأصوات

المناداة على حرس السواحل، ولنشات النقل داخل الميناء، كل ذلك لم يكن ليوقظ أحدًا من هؤلاء الذين ارتموا في أحضان الغزل والشباك، وفي عنبر النوم على السفينة، وبعضهم داخل فلايك الأنوار بالخلف.

كلًا منهم يبحث عن ساعات الراحة القليلة قبل بدء اليوم الجديد للعمل، إلا الريس علاء ومساعده اللذان ظلا كابينة القيادة، يصحبهم ميكانيكي المركب، حتى دخلوا الميناء واستقروا، وتم رمي مخطاف المركب؛ لتخرج الأسماك بكل خفه وسرعة، فالرزق يجمع أصحابه لنشات النقل التي ساعدت في نقل الرجال، واسطوانات الغاز، والطاولات الفارغة، وكل ما يلزم المركب تنتظر نصيبها من ذلك الرزق، كذلك بائعوا الأسماك والتجار ينتظرون لحظة خروج السمك لتقييم الجودة والكمية؛ لتبدأ المضاربة على الأسعار.

الكل في سعادة الرزق الحلال بركة من عند الله. الريس علاء يخرج وحيدًا مع الأسماك إلى مكان البيع، ومساعده عم السيد السخاوي يعود؛ ليوقظ طباخ المركب؛ ليعد طعام الفطور قبل أن يستيقظ الجميع على رائحة السردين وهو يشوى، وهواء الشمال يحملها لأنوف رجال قد ضرب الجوع والتعب والشقاء بطونهم وأجسادهم، وصوت صفارات المركب يدقها المساعد؛ ليوقظ الجميع كي يقوموا برد الغزل[١٤]، وتحديد أماكن القطع التي سببتها الدلافين وهي تقتنص نصيبها كي يقوم الرجال بإعادة ترقيعها مرة اخرى.

يصطفون متقابلين على ظهر السفينة، يسحبون الغزل ويعيدون رصه مع إخراج القطوع؛ ليجلس الجميع، وفي يد كل منهم مناقيش الرقع لإعادة الشباك لما كانت عليه، ومع طعام الفطور وأكواب الشاي كلٌ يعلم مهمته، الفلايك تغسل والكلوبات تنظف، واسطوانات الغاز يعاد ملؤها إن فرغت. الكل يعيد اليوم السابق صباحًا. ساعات العمل تمر، والراحة تبدأ بعد الشقاء إنها ليلة جميلة، بدأت بالخروج من الميناء وانتهت بعودة الريس علاء في العاشرة والنصف بعد

أن بيعت الأسماك، وعلم الرجال قيمتها، وكل منهم يُمني نفسه بما سيحصل عليه من حصة اليوم وما بعدها، ويخلد الريس للراحة.

الريس علاء: يا عم السيد، صحيني مع أذان الظهر، وخلي الرجالة تنام لها ساعتين، النهاردة هنطلع الساعة واحدة، المشوار أبعد من أمبارح.

السيد السخاوي: على الله يا ريس علاء، بإذن الله.

١٤ رد الغزل: أي تنظيفه وإعادة ترتيبه.

الكل يعود لمكان نومه، السكون هو سيد الساعة، والخلود للراحة هو عين الصواب من الحادية عشر حتى الواحدة.

يونس مرزوق ريس الفلوكة الثانية يقبع في أسفلها مستسلمًا، يغط في نوم عميق، يصحو على نداء عم السيد له؛ ليوقظه ليعدل من حال أدواته، يغسل الكلوبات، ويتأكد من سلامة وصلات الغاز، والهلب، ومجاديف الفلوكة.

يونس يستوطن فلوكته أثناء الظلمة كلها، لا يبرحها إلا للضرورة، يجعلها بيته رغم ضيقها وصغر حجمها، إلا أنه وفر لنفسه بها كل ما يعتقد أنه الرفاهية له، براد الشاي والجوزة والقوالح[١٥]، والمعسل، هذه هي حياته التي يحياها وحيدًا دون حديث إلا مع النفس ومع خيالاته، فهو غالبًا ما يحدث نفسه، يجلس وحيدًا يتأمل كثيرًا.

الكل يعلم بمرضه النفسي، والكل يتجاوب معه كأنه لا يرى به بأسًا، فالمعاناة لن تكون معانتين، ولن يشعره أحد بمرضه هذا، فهو منا ونحن منه طالما لا يؤذي نفسه ولا يؤذي أحد، ويؤدي ما عليه بالعمل، فكلنا ستر وغطاء على بعض، هذا لسان حال الرجال من حول يونس، حتى مساعده بالعمل في الفلوكة، فقد آثر الريس علاء أن يكون معه أخاه علي وهيب حتى لا يطلع على حاله غريب، ويقوم علي وهيب بجبر خاطر يونس حين يهذي أو تنتابه أي أعراض غريبة.

نعم.. هكذا هو ذلك المجتمع المغلق، طيب القلب في خلقه مع من هو منه، يحاجي قدر ما يستطيع، يقفون معًا في المآسي والأمراض، فهذا فرض

١٥ القوالح: هي فوارغ الذرة بعد فرطه، وتستخدم كوقود.

بعرفهم، وستر العورات واجب، والمعاملة الحسنة مقدمة على شرور النفس.

إنها الواحدة والنصف، الكل تجهز للخروج مرة أخرى، الجو صحو ولا رياح، صفحة الماء مستوية، مبروك الجديد على بوابة الميناء الشرقي، صافرة طلب زيادة السرعة تدق بقوة، يجتمع الرجال بالخلف، يرفعون نداء الخروج المعتاد: (الفاتحة للنبي...الفاتحة للنبي)؛ ليأمر الريس علاء عم السيد السخاوي بضبط بوصلته على الشمال الشرقي معطيًا الميناء ظهره، وميمنًا المدينة التي عادت تنظر إليهم، تنتظر العودة، وتغير من أنوار البحر المتجددة، والتي تقارنها بالليل موازية لها في الجمال، فارضة مدينة جديدة كل يوم أمامها تتمايل مع أمواج البحر التي تظهر ضوءًا وتخفي أخر في أماكن جديدة، تتغير بتغير وجهة المراكب كل يوم أمام سواحلها.

ساعتان من الإبحار حتى اختفت اليابسة، وظهرت البريمة[١٦]، تلك المدينة الصغيرة الشامخة إلى الشمال الشرقي من خليج أبي قير، والثابتة على عمق يقارب الستين مترًا، تضرب عمق البحر؛ لتخرج الغاز أو ما وُري من ثروات بترولية تحت سطح البحر العميق، يحرسها لنش الخدمات المطلي باللون الأحمر، يغبط الصيادون ساكنوا هذه المنصات، فعملهم أسهل، والرفاهية متوفرة لهم، الطعام والشراب ولنش الخدمة والحراسة، بل والطائرة الهليكوبتر التي تأتي وتذهب يوميًّا للتوصيل.

إنها منظومة المال والثروة، أما الصياد فله ما يعاني فيه من شقاء وتعب دون حماية ولا نظام ولا حراسة، البحر صديقه ومصدر رزقه، وهو كذلك

١٦ البريمة: لفظ يطلقه الصيادون على منصات حفر البترول البحرية.

عدوه، ومصدر شقائه وحرمانه، إنها المعادلة التي يعجز عن حلها إلا صاحب لب مفكر وقلب واعي لحقائق الحياة و تقاسيم الارزاق.

(على الله). نداء الريس علاء لتوزيع فلايك الأنوار في هذا المكان حول البريمة، كل فلوكة لها ريسها ومساعده، قبيل الغروب الكل جاهز لتلك اللحظة، تنار الكلوبات؛ لتجتمع على ضوئها الأسماك السابحة.

يونس مرزوق وعلي وهيب يبدأون في رمي مخطاف الفلوكة، وإنارة الكلوبات، وإعطاء الإشارة للريس علاء أن الأمور على تمامها.

الطل شديد..

يونس: ارفع يا علي المشمع.

ليستجيب علي وهيب لكلام الريس يونس، فيضع المشمع؛ ليحميهم من ذلك الطل الساقط عليهما، ومن البرودة التي تأتي من الأمام؛ لينزل الاثنان أسفل الفلوكة، يشعل يونس قوالح الذرة؛ ليحمي بها حجر المعسل، ويبدأ في شرب الشيشة مع كوب الشاي، هو يراقب في عجب مشهد آلاف من قناديل البحر وهي تتجمع تحت فلوكته، كأنها مظلات الحرب العالمية الثانية أو نجوم مستديرة تبعث بالضوء في سواد البحر، ومن خلفها تأتي السلاحف الخضراء تنهم في هلام تلك القناديل، مستمتعة بطعم يخصها، وبوافر غذاء تحبه هي وحدها من بين كائنات البحر الأخرى، ينظر يونس، ويحث علي إلى النظر لذلك المشهد البديع، وقد انعكست الأضواء على بعضها.

ضوء البريمة مع أنوار الكلوبات التي أضائها يونس وعلي مع انعكاسات

ضوء فسفوري خافت يخرج من قناديل البحر ينعكس على ظهر مجموعة من السلاحف الخضراء التي تنهم في وجباتها المفضلة.. غطَّ علي في نوم عميق بركن الفلوكة السفلي، ويونس يحدثه كأنه ينصت إليه، يحكي له عن أحلامه بالزواج ممن يحب.

(فردوس) بنت صبحي السبيعي، صاحب المقهى بجوار البحيرة على الطريق الدولي، كم هي جميلة؟! وتبادلني مشاعر الحب أول ما أوصل عندهم، تنادي وتقول: (وصل الريس يونس)

وتأتي لي بالشيشة والولعة، نظرتها لي كلها حب وشجن، يطول الحكي من يونس في الهواء، وصوت شخير علي يصل إلى السماء، أما يونس فلا يسمع إلا صوت فردوس، ويردد كلامها كأنه هي وكأنها هو، يقوم بدور المحب والمحبوبة.

هي: حمد الله على السلامة يا معلم يونس.

هو: الله يسلمك يا جميل.

هي: عامل إيه؟

هو: الحمد لله، وإنتِ عاملة إيه؟

هي: وحيدة يا معلم يونس.

هو: بكرة نتونس ببعض يا دوسة.

لا ينفك يونس عن الحديث المخترع بينه وبين فردوس، فلا يتركه

خياله إلا أن يجد نفسه يشتهيها، وينظر إلى صفحة الماء، فيراها في زينة العروس ليلة الزفاف، وخيالات اللقاء الحار تستبد بقلبه، ولسانه ينطلق مجاريًا الحالتين، مرة يتحدث بلسان يونس ومرة بلسان فردوس الحبيبة، وعلي وهيب لا يأبه لضجيج الحب الملتهب بجوار أنابيب الغاز التي تشعل أنوار البحر من حول مركباتهم الصغيرة، والليل يرخي أستاره بعد غياب القمر المبكر في الحادية عشر، ويونس في أحلام يقظته التي انتهت بغفلة مد فيها جسده أسفل فلوكته الصغيرة مع هدهدة الموج، ونسمات الطل اللاذعة يجد يونس نفسه وقد بلل المني سرواله بعد نشوة اللقاء في أحلامه بفردوس، لا يوقظه هو وعلي إلا ذلك النداء من عم السيد السخاوي بعد أن انتهوا من الفلوكة الأولى، التي لم تأتِ بصيد جيد اليوم.

عم السيد: يا يونس، في سمك تحت النور.

يونس ينظر أسفل الضوء، فلا يرى إلا خيالات الماء.

يونس: مش شايف حاجة يا عم السيد.

الريس علاء: ألسطا يا يونس.

ليبدأ يونس وعلي في جمع الغطاء، وسحب المخطاف، وإنزال المجدافين؛ ليلتف الريس علاء حول فلوكتهم بغزل الشنشيلا، ويبدأ الرجال في السحب كأنهم يسحبون جبلًا، حتى

الحادي عم متولي أصابه الملل، فلا شيء داخل الشباك يدعو للحماس، لا شيء داخل الشباك التي يعانون في رميها وسحبها، فلا غناء ولا أسماك،

فقط مياه باردة تبلل الأجساد دونما فائدة، ولحظات تعب في شد الشباك التي يعلمون أنها فارغة من الرزق، حتى الدلافين لم تعد هائجة حول الغزل، بل هادئة تدور حول

الشباك ولا تقترب، لا ضجيج لها إلا صوت خروج الماء من فتحة ظهرها حين تخرج للتنفس، كأنها تشاركهم حزنهم وسكونهم.

نعم.. هكذا الحياة، ليست الأيام متشابة، فرح الأمس ولَّي، وملل اليوم حل، الكل في وجوم يحث الوقت على الإسراع، يتمنى ألا يكرر الريس رمي الشباك مرة أخرى بالرغم من أن الوقت مازال مبكرًا، بضع كيلوات من الأسماك هي حصيلة الطرحة، ولكن الرزق بيد الله، فهو يقبض ويبسط، يعطي ويمنع، ولا يملك أحدنا إلا السعي والرجاء في العطاء.

يجمع الريس علاء باقي الفلايك، يرفع

الرجال اثنتان فوق السفينة وتجر الثالثة، حيث يقبع فيها يونس بعد أن رفع غطائها مرة أخرى، وقد تدثر ببطانية في خنها[١٧] اتقاءً لرذاذ ماء البحر، وقد غط يونس في نوم عميق يكمل ما بدأ من خيالات تحت أنوار البريمة، لا يفكر إلا في فردوس حياته لا يلوي لمال لم يأتِ اليوم، ولا لحزن دخل قلوب طاقم السفينة لقلة الرزق.

وينطلق مبروك الجديد عائدًا إلى الميناء مبكرًا، يدخلها قبل شروق الشمس، وقد غط الجميع في نوم حزين بلا مال ولا فرحة انتظارًا لخروج جديد لعلَّ الله يأتي مع اليوم الجديد بالفرج والرزق.

١٧ الخن: هو مكان ضيق في مقدمة المراكب الصغيرة للمبيت أو للتخزين.

٥-الطرحة الثالثة (أبو عصفور)

(بنات الإسكندرية- غيرة الأنوار)

إنه أذان الظهر، الساعة الثانية عشر، أيقظ عم السيد الرجال وطلب من كل منهم أن يتم مهمته، وأسرع لكابينة الريس علاء الذي بدا متكاسلًا، وقال له: هنخرج النهاردة بعد العصر يا عم السيد، ثم عقب على ذلك: النهاردة مركب النفايعة وسق[١٨] من أبو عصفور، وكان لوحده، هنجرب النهارده أبو عصفور.

عم السيد: ربنا يكرم يا ريس، هنجهز العدة ونتغدا قبل ما نخرج.

الريس علاء: اللي يريحك يا عم السيد، بس قول للرجالة كلوا يصلي علشان ربنا يرضي عننا وشوف يونس اغتسل ولا لأ مش ناقصين عكس.

عم السيد موجهًا كلامه لطاقم المركب: كله يتوضأ ويصلي الظهر، وبعدين هنرد الغزل ونجهز الفلايك، فين يونس وباقي الفلايكية؟

لينظر إليه يونس الذي كان جالسًا بمقدمة فلوكته، وقد خلع جميع ملابسه إلا ما يستر عورته، وأخذ يصب الماء على جسده؛ ليزيل آثار الصابون من جركن أسود مملوء بالماء، والجميع يتساءل: ما سر هذا التأخير اليوم؟

لا يعلم أحد منهم شيئًا بشأن طرحة أبو عصفور القريبة من الميناء، فهي طرحة جديدة عليهم، اكتشفها أحد الصيادين، وكانت سرًّا له، إلا أن صيدها

١٨ وسق: أي حصل على كمية كبيرة وفيرة من الصيد والأسماك بلغة الصيادين.

الوفير جذب انتباه المتلصصين لمعرفة مكان صيد الريس أبو عصفور الذي كان يتأخر في الخروج ويبكر في الدخول، مما جعلهم يتبعونه، فهم هكذا أهل المهنة الواحدة يغارون من بعضهم البعض، ويتناوبون أخبار صيد الأمس، مين كان فين؟ وبعضهم يدل ويخبر، فالرزق رزق الله، وبعضهم يكتم حتى لا يعرف الباقون سر صيدهم الوفير، فيشاركونه مكان صيده، وكما قال المثل: (عدوك صاحب مهنتك).

كل مركب يسأل كم طاولة من الأسماك؟ وما نوع السمك؟ أين كنتم؟ كم عمق العمل؟وما اتجاهات السفر بالبحر؟ هي كذلك أنوار البحر (الشنشيلا)، تجدهم خلف بعضهم، كل مركب يحمل فلايكه وأنواره، يتجمعون خلف أكثرهم صيدًا يتبعونه، ينتظرون خروجه من الميناء، ينشرون أنوارهم بجوار أنواره عسى أن يصيبهم مثل رزقه، بالأمس كان مركب (النافع هو الله) أكثر المراكب صيدًا، وبعد التلصص وصل الخبر أنهم كانوا بأبو عصفور، حيث أنهم تأخروا حتى وقت العصر لعطل كان في الماكينة، وقرر ريسهم الخروج بذلك الوقت المتأخر الذي لن يستطيع معه الوصل مع باقي المراكب، فآثر أن لا يضيع الوقت بلا عمل، فنزل بأقرب أماكن الصيد للميناء.. أرض أبو عصفور، خمس دقائق يمين الميناء الشرقي تقع طرحة أبو عصفور أمام شاطئ الشاطبي، حيث ضريح الإمام الشاطبي على البحر مباشرة، وأمام مسجده الذي به ضريحه بني كازينو الشاطبي، أشهر كازينوهات الإسكندرية، وفي الجهة المقابلة مسرح بيرم التونسي عميد شعراء العامية بالقطر المصري، وحديقة السلسلة ملتقى الأحبة، وتمثالها الشهير عروس البحر، والأنوار والأفراح صوتها لا ينقطع، تخرج المراكب خلف مركب

النافع هو الله، إنها الثالثة والنصف عصرًا، الكل يتعجب لذلك التأخير!!

خمسة عشر سفينة تخرج، ومع كل سفينة ثلاث فلوكات تجرها خلفها، ومعها قارب صغير على متنها، وكلًا منها يحمل منصة الأنوار خلفه ستون ضوءًا، سوف تنتشر الآن أمام الإسكندرية خلف الميناء مباشرة أمام شاطئ الشاطبي، يوشك أذان المغرب أن يؤذن، كل مركب ينشر

فلوكاته، ينطلق الأذان، وتنطلق الأنوار، أنوار البر كورنيش الإسكندرية، كازينو الشاطبي، أنوار المسجد، أنوار المسرح، والحديقة، كأن الإسكندرية تتحدى بأنوارها أنوار البحر التي قبلت التحدي، فأشعل البحر أنوارًا بدت متلألئة، بمجرد غياب الشمس كلًا له رونقه، صفحة الماء تعكس نور الإسكندرية، وتجتمع

الأسماك تحت نور فلوكات الشنشيلا، صخب المدينة ينعكس على صفحة الماء، ووهج البحر يشد انتباه الساهرين على الشواطئ، يغبطون هؤلاء الصيادين الذين يقبعون في نسيم البحر وهدوء صفحة الماء، وعلى الجانب الآخر جلس كل في فلوكته ينظر إلى خيالات الساهرين، حاسدًا لهم على براحهم بالبر، فهم يأكلون، يشربون، ولا يعانون سقيع الليل، ولا يبالون بتقلب البحر، لا شقاء، عندهم ضحكاتهم بالمسامرة مسموعة، يتردد صداها في آذان رجال البحر القابعين فيه انتظارًا للرزق، كلًا منهم يتمنى أن يكون مكان هؤلاء في أمان البر، وراحة المتسامرين، وهدوء بالهم.

ما أجمل الرضا بالحال، وما أروع أن تكون مع الله، فكل شيء نصيب.. العمل، الرزق، الزوجة، الأولاد.

سعد مبروك يتوضأ ويقف في مقدمة فلوكته الساكنة يصلي، وكذا فعل كثير من راكبي الفلايك، فصحو الجو وهدوء صفحة الماء والنجوم المتلألئة في السماء تدفع كل ذي قلب حي أن يشعر بوجود الإله الخالق الرزاق، إنها لحظات الدعاء، يسمعون أذان العشاء الصادر من مسجد الشاطبي، يقفون كأعواد نصبت في مقدمة الفلايك، يبتهلون أن يرزقهم، ويصلح حالهم، وحال أبنائهم.

يونس مرزوق يرفع يده للسماء: يا رب اصلح لي حالي، وقرب لي البعيد.

علي وهيب يجلس خلف الفلوكة أسفل الأنوار، يمسك بيده النظارة المعظمة، يتطلع إلى السائرين على كورنيش الإسكندرية.. شاب وفتاة يجلسان على سور الكورنيش، يعطيان ظهرهما للناس، ينظران إلى البحر، يلتصق كلاهما بالآخر، يتخيل علي نفسه مكان أحدهم، كم يود لو يفعل ذلك، فلا محبوبة له، ولا جليسة، لولا تسليته مع يونس بحكايات فردوس الخيالية، وسرحات يونس معها في عالم اللا واقع.

وهناك أسرة تجلس وفي يد كل منهم كوب من الجيلاتي، كم أنت محروم يا (علي)، البحر يأكل أعمارنا وأيامنا، ولا نرى منه إلا الشقاء والمعاناة التي لا نستفيد بها.

أحمد علي سلامة ومحمود علي سلامة، التوأم قائدا الفلوكة الثالثة، كلاهما أنهى دراسته بدبلوم التجارة، وعملا في مهنة الأهل، يرحلون صيفًا إلى الشمال وشتاءً نحو الشرق.

كم كانا متفوقان!! يتمنى كلًا منهما أن يكمل تعليمه، أحمد يحلم بالهجرة

نحو كندا، ومحمود يتمنى لو أتم دراسته بالجامعة، ثم السفر لكسب الرزق بوظيفة بالبر بشهادته التي سينجزها.

أحلام المستقبل تراودهم، ورزق اليوم طلبهم، كلاهما يحفظ القرآن كما أراد والدهما الحاج علي سلامة الريس السابق، لولا السن وذهاب الصحة لكان معهما الأن ريسًا على مركبهم هذا، فهو معلم الريس علاء فن الإبحار، وضبط الشباك، وأماكن الصيد وفنونه، والريس علاء يحفظ لوالدهم ذلك الجميل، فراعى أبناءه، وأخذهم معه في طاقمه بعد أن صار ريسًا لمبروك الجديد، كلاهما يقف الآن، أحدهما في مقدمة الفلوكة والآخر خلفه بالأسفل، بعد أن توضئا من ماء البحر يبتهلان إلى الله، يقيمان صلاة العشاء، ثم يصليان قيام الليل بما يحفظان من القرآن، نموذج للفتية الصالحون، والأب الصالح، وبركة المال الحلال، ودعاء الأم والأب لهما أن يوفقهما فيما يريدان، ويوسع لهما في الرزق كي يحققا ما يبغيان من الخير لهما ولأبويهما الصالحين.

سكون الليل، وهدوء البحر وثبات صفحته، تحدِّ الأنوار ما بين الإسكندرية وأنوار البحر، كلاهما يريد أن يثبت سيطرته على الآخر وعلى كل ذلك الجمال.

يدعوان للابتهال والتجلي والتفكر في خلق الله وكونه الجميل، تمر ساعات الليل، يغيب القمر (الهلال) في الحادية عشرة، وفجأة تُرفع المشاعل على الأنوار، معلنة كثافة الأسماك تحت الفلوكات، طالبة من كل ريس أن يسرع بسفينته لحصد هذه الكميات الضخمة من أسراب الأسماك التي جذبها نور الفلوكات بعد غياب القمر، وما هي إلا لحظات بعد الثانية عشرة حتى

كانت سماء أبو عصفور تدوي بأصوات رجال الشنشيلا، يسحبون الشباك، ويرمون طرحهم حول فلوكات الأنوار.

الريس علاء: ألسطا يا سعد.

ودون سؤال كان سعد جاهزًا هو ورجب وفلوكاتهما، والسفينة تدور ملقية شباكها حول النور، جامعة ما تجمع من الأسماك داخل شباكها، والحادي عم متولي يعلو بالحداء، والكل يردد من وراءه في حماس وهم يسحبون الشباك:

لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله.. لا إله إلا الله..

لا إله الا الله.. لا إله إلا الله.

لا إله إلا الله..

رب واحد في علاه.. لا إله إلا الله..

ما نرجو رب سواه.. لا إله إلا الله..

خليك معاه تكسب.. لا إله إلا الله..

إلّي معاه ربه ما يخيب.. لا إله إلا الله..

شمس ربك مش بتغيب .. لا إله إلا الله..

صيد وفير من فلوكة سعد مبروك، الكثير من أسماك الدراك والبلاميطة وغيرها، يطلب الريس علاء من سعد مبروك عدم إطفاء الأنوار، ويجر فلوكة سعد ليضمها إلى فلوكة أحمد ومحمود علي سلامة؛ ليزيد النور،

ويجتمع سمك أكثر تحت أنوار الفلوكتان اللتان جلس رجالهما سويًّا بعد أن ربط الفلوكتان، وانتقل سعد ومساعده إلى الشابين؛ ليشربا الشاي ويتناولون البكاكين التي صنعتها الحاجه أم محمود مع بعض الجبن الأبيض، يتحدثان في أحوال البلد وأحوال أهلها، وأمور الزواج والطلاق، والصلح والخصام، ينصح سعد تارة ويمني تارة أخرى.

فهو ينتظر من أحدهم وهم جيرانه وأقاربه أن يفتحا قلبهما وعينهما نحو فاطمة ابنته الجميلة، فعم سعد رجل طيب يتمنى أحد الشابين حاملي القرآن أبناء الريس علي سلامة. أما مساعده -رجب علي- ينظر فلا يرى إلا أنها له هو، ستكون فاطمة من نصيبه بإذن الله لكنه يفكر في نظرة عم سعد للولدين، ويعود بفكره لأمه التي وعدت أن تمني طلبه حال انتهاء موسم الصيف بالاسكندرية؛ لأن موسم الشتاء الفائت على مركب البركة من الله بالسويس كان بالكاد ليسد ديون زواج أختاه، وقد وعدته أمه الست صفية بأن يكون عمل هذا الصيف له ولزواجه.

ينتقل مبروك الجديد إلى فلوكة يونس الذي يرفع مشعالًا، ويقف يصرخ طالبًا سرعة رمي الطرحة لهول ما يرى تحت النور من كميات الأسماك.

عم السيد: ألسطا يا يونس.

يونس مرزوق: ألسطا، بسرعة يا عم السيد.

الريس علاء: ألسطا يا رجالة.

وما هي إلا دقائق حتى دارت مبروك الجديد بشباك الشنشيلا حول فلوكة

يونس مرزوق وعلي وهيب اللذان كانا متحمسان أشد الحماس؛ ليجتمع طرفا الغزل، ويبدأ الرجال بالسحب والترديد وراء عم متولي:

(هيلا هيلا... صلي على النبي)

ويمر الوقت سريعًا، فسحب الشباك حين كثافة الرزق يكون بحماس، وسرعة المال يحمس الناس، وطوفان الأسماك بالماء يدعو لسرعة سحب الغزل، إنها أسماك المغازل، وورائها كميات ضخمة من أسماك الكبريت والتونة.

طوفان الأسماك يقابله طوفان من الحماس والاستعداد لإستقبال هذه الكميات من الأسماك سريعًا بكل فراغات المركب، مع وضع كل صنف على حدا.

إنها أسماك ضخمة، وإخراجها من الماء ليس بالأمر اليسير، لكنهم الأشداء.

تسمع قفزات الأسماك لا يجاريها إلى نداء عم متولي: (صلي على النبي)، والكل يردد خلفه، يخرجون الأسماك، ينقلونها للأمام، صوت الأوناش يتقاطع مع صيحات الرجال.

بيرا[١٩] مولا[٢٠] بالخلف، رجال يعملون في إخراج السمك وآخرون في التصنيف، وجماعة في نقلها للأمام، والنداء واحد، حتى (مستر نبيل) معلم

---

١٩ بيرا: أي اسحب أو ارفع بلغة صياد البحر المتوسط.

٢٠ مولا: أي اترك أو أنزل.

اللغة الإنجليزية الذي يستغل الإجازة الصيفية ويذهب مع أبناء بلدته للعمل بالشنشيلا، يأخذه الحماس، فيردد وهم خلفه:

لا إله إلا الله..

لا إله إلا الله

Non God except Allah

Everybody say with me

In the morning in the day

when it dark when it light

with the born with the died

if you been rich man,

or you be poor كمان

you must say that say

if you free or you play

when you sad, when you fresh

when, you eat from the dish,

say that say every time

during the day at the night

say with me: I say with you,

look the sky it’s blue,

it is cloudy and raining.

Birds eat and swimming,

look at me, look at you,

when you weak what you do

say with me every day,

when you happy what you say,

when you sad what you say:

Non God except Allah.

لا إله إلا الله

الله يبارك يا يونس.

يونس: تسلموا يا رجالة.

يترك الريس علاء يونس وأخوه علي وهيب بفلوكاتهما ويطلب منهما عدم إطفاء الكلوبات عسى أن تجتمع أسماك أخرى، لقد استبد الحماس بالجميع، لا مكان للكسل، اليوم فتح الله أبوابه برزق وفير، واليوم يوم السعي.

الريس علاء: ألسطا يا سعد.

فيسحب محمود وعلي سلامة فلوكاتهما بعيدًا بعد إطفاء أنوارها؛ ليدور مبروك الجديد مرة ثالثة حول فلوكة سعد مبروك ومساعده، ويتكرر المشهد السابق الذي ينتهي بتجمع الفلوكتان؛ ليرفعا الجزء الآخر من الشباك حتى لا تقفز كميات الأسماك محاولة الفرار، والجميع في حماسهم، وقد تحولت السفينة بجوانبها وسطحها وكل فراغاتها إلى أماكن لتخزين هذه الكميات من الأسماك، أطنان من السردين والدراك والتونة والمغازل، لا مكان لشبر آخر من الأسماك.

يسحب الريس علاء خلفه الفلوكتان سعد مبروك ومساعده رجب علي، والتوأم أحمد ومحمود علي سلامة، ويطلب عدم إطفاء الأنوار، الساعة قاربت الثانية بعد منتصف الليل، باقي ساعتين على أول ضوء، والأسماك تطلب صائديها.

يعود الريس علاء إلى فلوكة يونس مرزوق وعلي وهيب مرة أخرى، فإذا بيونس يرفع مشعالًا آخر والرجال في حيرة، أين يذهبون بهذه الكميات من الأسماك؟! لا مكان بالسفينة!! ماذا سيفعل الريس علاء؟ وإذا بهم يتفاجئون بالريس علاء ينادي عم السيد السخاوي في حماس:

-ألسطا يا سيد.

فيرفعها عم السيد ليونس: -ألسطا يا يونس.

لتبدأ طرحة رابعة، جهد ضخم، وعمل شاق لا يقوى عليه إلا أمثال هؤلاء، لا يهابون التعب، ويزول عنهم كل ألم أمام هذا الرزق الحلال الوفير، والسؤال الذي يحير الجميع.. أين سيخرجون هذه الأسماك؟! فلا موضع

قدم بالسفينة لتخزين سمكة أخرى. تدور مبروك الجديد ناصبة فخ الشنشيلا حول فلوكة يونس مرزوق للمرة الثانية، تلك الليلة الكل متحمس، ولكن كيف وأين؟! ماذا سيفعل الريس علاء بتلك الكميات الجديدة من الأسماك ومهمة إخراجها فوق السفينة شبه مستحيل. (على الله)، نداء رمي الشباك والدوران، تسحب الرصاصات[٢١]، ويغلق الغزل على الأسماك، الساعة قاربت الرابعة والنصف، خيط الفجر لاح للرجال وهم يسحبون في حماس، والحادي يعلو بالغناء، والرجال من خلفه، وفجأة.. يسمع الجميع صوت الريس علاء يأمرهم بأن يتوقفوا عن سحب الغزل بعد أن أُحكمت الحلقة على كميات هائلة من السردين والسيوف[٢٢] داخل الشباك، ويطلب من الثلاث فلوكات الخروج من دائرة الشباك، ورفع الشباك على حواف الفلوكات، وإنزال ما بقي من شباك على سطح السفينة إلى فلوكة سعد مبروك، كذلك إنزال فلوكة الإنقاذ الصغيرة، فأصبح عددها أربع فلوكات، يرفع كلًا منها جانبًا من الشباك فوقها، وقد أحكمت السيطرة على كميات الأسماك بالماء، وتحررت مبروك الجديد من الشباك ومن الفلوكات التي سيطر رجالها على الأسماك داخل دائرة الغزل، وطلب الريس علاء منهم الانتظار على هذه الحال حتى يعود إليهم مرة أخرى، فالسفينة غاصت لثقل ما تحمل من أسماك.

الريس علاء: يا سعد، هندخل الميناء نخرج الأسماك اللي معانا، ونرجعلك علشان نطلع الطرحة اللي في المايه، خلي بالك.

---

٢١ الرصاص: أثقال أسفل الشباك؛ لتسهل فردها تحت الماء بسرعة، ثم تجمع؛ لتغلق الشباك تحت الأسماك.

٢٢ السيوف: نوع من أنواع الأسماك العائمة.

سعد مرزوق: تمام يا ريس علاء، تسلم يا غالي.

تعجب الجميع من حسن صنيع وفن القيادة الذي أظهره ريسهم علاء وهيب، فلم يفقد في ذلك اليوم لحظة عمل، ولم يترك فرصة رزق تضيع.

يدخل الريس علاء الميناء، إنها خمس دقائق لكنها الدقائق السعيدة، وقد أشعل الرجال فوق على مبروك الجديد برميلًا بها بواقي الأخشاب بعد أن سكبوا عليه كمية من السولار، يعلو لها بهو في الهواء كناية عن كثافة الصيد، ودعوة لكل أحبَّة الفرح لهم؛ لتجتمع عليهم مراكب النقل والخدمة داخل الميناء، ويرسلون الطاولات كي يتم تعبئة الأسماك بسرعة.

أحداث كثيرة تلك التي تصاحب كثافة الرزق، فرح وغبطة، حسد وتناجش[٢٣]، نزاع ومصالحة. يجب أن يتراضى الجميع، فالرزق رزق الله، والمعطي هو الله، والمانع هو الله.

وإن هي إلا لحظات حتى خرجت الأسماك، وتم تسليمها، وعاد مبروك الجديد خارجًا نحو صيده الثمين الباقي المختزن في غزل الشنشيلا، تحوطه فلوكات المركب الأربع، معهم ثمانية من الرجال يقودهم سعد مبروك الذي طلب من كل فلوكة أن يظل رجلاها يسحبان ما تمكنا منه، حتى يضيق الخناق على الأسماك، يرون مبروك الجديد وهي خارجة من الميناء وخلفها لنش من لنشات النقل، وقد حمل طاولات فارغة. يلتقط الرجال الشباك مرة أخرى فوق السفينة؛ لتبدأ عملية تعبئة الأسماك بعد إخراجها وإنزالها مباشرة إلى لنش النقل؛ ليعود بها إلى الميناء ومن ثم إخراجها.

٢٣ تناجش: رفع السعر بغير الحاجة بغرض الإضرار بالآخرين.

ساعات من العمل المضني المجهد، لكنه التعب الذي تصحبه الفرحة والسعادة، يظل العمل في هذا الطريق وإخراج الأسماك حتى سمع الجميع أذان الظهر ينطلق من مسجد الشاطبي، يرد عليه من داخل الميناء أبو العباس المرسي، والبوصيري ميدان المساجد، كله كان لحظات الخير الحقيقية، تلتقي مع ذلك الصوت: (الله أكبر الله أكبر...لا إله إلا الله). الريس علاء يجمع الرجال، ويرمي مخطاف مبروك الجديد في مكانه دون العودة للميناء، يطلب من سعد مبروك تجميع الرجال على صلاة الظهر جماعة فوق ظهر المركب، الكل يتوضأ من ماء البحر الطهور، ويصلي بهم سعد مبروك، وكأنها صلاة شكر لذلك اليوم الرائع الذي أنعم الله عليهم فيه برزق وفير.

يرد الرجال غزلهم، ويصلحون شأن فلوكاتهم، ويتناولون طعامًا من خير أسماك اليوم، فلم يتوقف المطبخ عن العمل منذ انتهوا من إخراج الأسماك.

يأكلون بنهم ليكافئ الطعام ذلك الجهد الذي بُذل اليوم.

-فلينم الجميع.. طلب الريس علاء من الرجال، وبعد الطعام تسمع الإسكندرية شخيرًا عاليًا من تلك المركب وفلوكاتها الأربعة المربوطة خلفها، ثلاثون رجلًا يلقون أجسادهم فوق غزل الشنشيلا، لا يأبهون بأي هيئة ينامون، إنه التعب وشقاء الليل، ومعاناة البحر التي يحبونها حين هذا الحال.

امتلأت البطون، خارت القوى، راحت العيون نحو برج البرلس، يحلم كل منهم بما ينتظر من خير بفعله بنصيبه من مال هذه الضلمة المباركة.

سعد مبروك يرى فاطمة، وست البنات، وسارة، ومحمود، وقد حقق لهم ما يتمنون.

مساعده رجب علي يرى نفسه وأمه وقد ذهبا ليطلبا يد فاطمة.

يونس مرزوق يرى فردوس وقد ارتدت فستانًا أبيضًا وتزف إليه، يسيران على الطريق الدولي، والسيارات تقلب الأنوار لزفته، وأهل البلد يسيرون خلفه، ينشدون ويصفقون، وهو يرد التحية، وينظر إلى وجه فردوس الحبيبة.

أحمد علي سلامة يرى نفسه وقد نزل على أرض كندا ترحب به، فاتحة له ذراعيها بمندوبة الجامعة تستقبله في المطار.

محمود علي سلامة يرى نفسه وقد جلس بمكتبه المكيف في تلك المؤسسة الكبرى بإحدى دول الخليج.

علي وهيب ذلك المراهق يرى نفسه وقد جلس إلى جوار صباح فتاة الإسكندرية التي طالما قابلها في فرن العيش وهو خارج مع أخيه علاء؛ ليأتي بخبز اليوم، لقد شغلته، تقف كل يوم تنتظره وتنتظر كيس السمك الهدية الذي يعطيها إياه كلما سنحت الفرصة، كم هي جميلة في نظره، تجيد الملاطفة، خفيفة الدم، وكذا أمها التي تراها تفعل ذلك، فلا تمانع تعلق بها الشاب الغر، فجذبت لبه، وملكت عليه فكره وعقله. أحلام و رؤى وخيالات، حقائق وآمال، رجاءات في فكر وخيال الرجال على مركب مبروك الجديد حتى الريس علاء وهيب يحلم بمركبه الخاص (سفينة برج البرلس) التي يراها تمد[٢٤] على ساحل فرع رشيد، إنها مركب حديدي ضخم، فيه كل أدوات الملاحة الحديثة، حتى إنها تحتوي على السونار الذي يكشف الأسماك بالأعماق، ولاسلكى، وجهاز الـ(GPS) للتوجيه والإرشاد، يراها وقد قاد

٢٤ تمد: أي يتم بناءها.

دفتها، وحمل عليها زوجته، وأولاده، وإخوته، وأهله يخرجون بها من النيل إلى البحر الفسيح.

حتى عم متولي صاحب الصوت الرخيم يرى نفسه وقد تحول إلى نجم غناء يشبه المطرب الشعبي(محمد طه).

الكل يحلم ويتمنى، فتح الرزق الوفير بابًا للحلم الكبير.

يستيقظ الجميع مع صوت أذان العصر، وقد اختلف جو الإسكندرية، وكشر موج البحر عما به من شدة وبأس، واشتد نسيم الرياح يحجب رؤية الشاطئ، بل تختفي اليابسة، لا شيء سوى موج من خلفه موج تدفعه رياح عاصفة لا تقوى معه أي فلوكة على الثبات، ولا يصلح معها اليوم عمل.

كان البحر قد قال كلمته وكلمة القدر كفى عملًا اليوم، ولتجبروا على إراحة أبدانكم، فلا يجد الريس علاء فرارًا إلا أن يأمر الجميع بالاستعداد السريع لدخول الميناء قبل أن يحدث لهم ما لا يحمد عقباه.

يعودون إلى داخل الميناء قبل أن تنزل شمس اليوم في إجازة إجبارية، عسى أن يأتي الغد بخروج جديد ورزق من الله.

أمسية في شوارع الإسكندرية

مولد المرسي أبو العباس

علي وهيب: تعالوا يا رجالة نحضر الليلة الكبيرة للمولد، النهاردة الخميس وقبل ما تيجي الساعة السادسة فيمنع الخروج من الميناء.

يتحين علي وهيب الفرصة للخروج ولقاء صباح التي تسكن بشارع السيالة المواجه لميدان المساجد، يعلم أن ليلة المولد الخميس، وقد تجمع أهل الطرق الصوفية من شتى بقاع مصر، وقد نصبوا الخيام، وأقاموا في جوار المسجد والضريح، ليلة لا ينام فيها الحي، خيام بها حلقات المديح، وسوق لبيع مصحوبات المولد، ومقاهٍ تجمع المتسامرين، عالم يموج بكل شيء، حلال الأفعال وحرامها، طيبوا القلوب وشياطين، تلبس الأمور ببعضها فيقع الناس في براثن شرها.

ورجال الشنشيلا يرسلون وفدهم بقيادة الشاب علي وهيب الذي يقودهم كأنه مرشدهم السياحي؛ ليجلسوا جميعًا في جوار أم صباح صديقته السكندرية، والتي كانت تشرف هذه الليلة على خيمة وكَّلها بها أحد رجال الطريقة الشاذلية؛ لتقوم بضيافة أهل الطريقة وزوار المولد؛ ليجلس سعد مبروك، ويونس مرزوق، وعلي وهيب، والأستاذ نبيل، ومحمود وأحمد علي سلامة، وقد فرشت لهم أم صباح حصيرة من البلاستيك، ووضعت لهم الطعام، فتة النابت، وبعض لحم نعجة ذُبحت منذ قليل، وأكواب الشاي، والجوزة التي لا ينفك أحدهم من تناولها، وعلي ينظر إلى صباح التي أشارت إليه أن يتبعها، ويخرج من خيمة الطريقة الشاذلية؛ ليسير ورائها نحو باب البيت المجاور للخيمة، وهو حضير[٢٥] يسكنون فيه بغرفة، وقد وعدته أن تريه بيتها، وتجعله يرى مكان نومها وعيشتها هي وأمها.

---

٢٥ الحضير: هو بيت مشترك لعدة أسر بحمام واحد وغرف مستقلة.

٦- الطرحة الرابعة

البوابير[٢٦] الكسكومري[٢٧]

صلَّى وفد مبروك الجديد في مولد أبو العباس المرسي صلاة الفجر مع مريدي الشيخ، وقد أرهقتهم الليلة بأحداثها، وأشرقت عليهم شمس الجمعة وهم يجلسون إلى جوار بوابة الميناء الشرقي بعد أن اشترى لهم سعد مبروك طعام الإفطار، وساندويتشات الفول والطعمية، ولكل منهم علبة مياه غازية، الجميع مبتهج بتلك الليلة.

وعلي وهيب يعيش مع وعده الذي قطعه على نفسه لصباح بعد أن دخل منزلها ورأى منها ما لا يجب عليه رؤيته، ووقع في حبائل حب تلك الفتاة اليافعة.

قصة تتكرر، وقدر يسير، الكل يرى حيرة عينيه، لا يدرون سبب ذلك، يعودون للمركب وقد غط باقي الرجال في نوم عميق، فيسحب كل منهم نفسه إلى جوار الرجال؛ لينالوا قسطًا من الراحة قبل بدء اليوم الجديد، حيث ما لبث السيد السخاوي أن دق جرس السفينة؛ ليوقظ الجميع.

إنها الحادية عشرة والنصف، وعلى كل رجل أن يقوم بما عليه من مهام نحو العمل، لقد صاح الجو، وهدأ موج البحر، وتلطفت الرياح، وصارت

---

٢٦ البوابير: لفظ يطلقه الصيادون على السفن الضخمة.

٢٧ الكسكومري: نوع من الأسماك العائمة يشبه الماكريل.

نسيمًا، تتجهز مراكب الشنشيلا ورجالها للخروج، ولكن بعد أن عاد الجميع من صلاة الجمعة بمسجد الميناء على بوابة الدخول والحديث عن الرزق والرضا بما قسم الله بهدف خلق الإنسان متمثلًا في قوله تعالى: «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» سورة الذاريات.

يعود الرجال يقودهم الريس علاء الساعة الواحدة والنصف ظهرًا.

الريس علاء: ألسطا يا رجالة بيرا المخطاف.

وفي لحظات ترفع فلوكتان على المركب، وتربط الثالثة؛ لتجر خلفه أثناء الإبحار.

يعطي الريس علاء إشارة زيادة السرعة، يجتمع الرجال بالخلف: (الفاتحة للنبي...الفاتحة للنبي).

نداء وصيحة الخروج من بوابة الميناء للبحر الفسيح، يتجه مبروك الجديد ناحية الغرب، قلعة قايتباي شامخة على يسار المركب يتبعها خليج الأنفوشي ثم قصر رأس التين؛ لتبدأ معالم غرب الإسكندرية، إنه فنار الإسكندرية بلونيه الأبيض والأسود، وبوابة الميناء الغربي، وخليج المكس؛ لتظهر أمام المركب تلك السفن الضخمة إنها

البوابير ذات العلامات التجارية الكبيرة، ترسو أمام الميناء الغربي، تنتظر لحظة السماح لها بالدخول.

هنا يأمر الريس علاء بإنزال الفلوكات بعد ساعتين من الإبحار في مجرى

تلك السفن الراسية أمام الإسكندرية وميناؤها بضخامتها، وتعجب الرجال من تقدم الإنسان في بناء هذه المدن العائمة، وتنزل الفلوكة الأولي أمام إحدى العبَّارات التي وقف طاقمها يتابعون عمل صائدوا الشنشيلا، ويلوحون لهم، ورجال مبروك الجديد يلوحون، ويضحكون، ويحلمون بالسفر عبر تلك السفن والخطوط الملاحية كما فعل بعض أبناء جلدتهم.

توزع فلوكة سعد مبروك، ثم تترك على مسافة منها فلوكة يونس مرزوق ومساعده علي وهيب، كذلك فلوكة التوأم أحمد ومحمود علي سلامة؛ لتغيب الشمس، وتبدأ أنوار البحر تتقاطع مرة أخرى، ولكن هذه المرة مع أنوار بحر أخرى صادرة من تلك البواخر الضخمة أو البوابير.

أنوار تخرج من البريدج حيث يجلس طاقم السفينة، والدك حيث مخازن البضائع وأماكن التشوين.

السفن بأنواعها عبَّارات، وحاويات مراكب سياحية، طابور من السفن على المخطاف بانتظار إذن الدخول للميناء الغربي بالإسكندرية، تحيط بها فلوكات الشنشيلا التي أشعلت البحر من حولها وهجًا حين غابت الشمس وأدلى الليل أستاره، فتجتمع الأسماك تحت الأنوار مرة أخرى، ويجلس كل رجل في خيالاته وفي حال نفسه.

سعد في زوجته وعياله، ومساعده رجب علي في فاطمة، يونس مرزوق في فردوس، وعلي وهيب في صباح ابنة الإسكندرية، كذلك التوأم كلاهما يفكر في طريق السفر والخروج من دوامة العمل بالبحر.

وهناك تظهر لهم خيالات الرجال في البوابير، صخب حفل فوق إحدى

السفن السياحية يجذب صوته انتباههم، ويشعل شجونهم وأشواقهم نحو أهاليهم وأفراحهم ببرج البرلس.

يمر الوقت سريعًا، تتجمع الأسماك أسفل الأنوار في ليلة متلألئة يتوهج فيها فنار الإسكندرية دالا السفن نحو الميناء.

الساعة الحادية عشرة والنصف.

عم السيد: ألسطا يا سعد.

سعد مبروك: ألسطا يا عم السيد.

ليعود سعد ويسحب مخطاف الفلوكة في الوقت الذي يعلق فيه رجب على المجدافين؛ ليدور الريس علاء بمبروك الجديد وغزل الشنشيلا حول الأسماك التي اجتمعت، والرجال يسحبون في هدوء، وصوت عم متولي يصدح مرة أخرى بالغناء.

هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه هيصه

في الحارة حدانا.. طب قولوا معانا.. الفرح يجينا.. احنا وأهالينا.. ربنا يدينا.. ويرضى علينا.. ونكيد أعادينا.. من غير مواعيد.. فيه رزق جديد.. ربنا يرزقنا.. ما في حد يحشنا.. وسمكنا يزيد.. والقوة حديد.

ليفاجئ الجميع صخب الماء، حيث أسماك الكسكومري ومعها أسراب من السردين ذو الحجم الكبير، لا بأس بالكمية، الكل يعمل، تحمل الأسماك للأمام، ويتم تجهيز الطرحة الثانية نحو فلوكة يونس مرزوق وعلي وهيب

التي تأتي بمثل ما جاءت به فلوكة سعد ورجب، ثم الثالثة حيث التوأم أحمد ومحمود علي سلامة بجوار ذلك المركب الضخم الذي تحرك للتو مبحرًا نحو الشمال.

ألسطا يا محمود. ألسطا يا ريس علاء.

التعب تمكن من طاقم العمل، الكل أصابه الخمول، حتى عم متولي صمت، وحل السكون بالمكان.

الكل يسحب في ملل، أنوار مبروك مطفأة، ونور فلوكة التوأم ما زال بعيد المنال، فالشباك ما زالت بخيرها في المياه.

تعب.. ملل.. تمني انتهاء اليوم، وفجأة، يسمع الجميع صوت صراخ وتأوه مفزع، يظن معه الريس علاء أن أحد الرجال يقوم بالهزل في وقت الجد، فينهر الجميع على ذلك ألا يفعلوا، وسأل: مين بيعمل كدا يا سيد يا سخاوي؟

السيد السخاوي: مفيش حد يا ريس، الصوت جاي من البحر.

ليتكرر الصوت المفزع مرة أخرى، والكل في صمت وذهول، يطلب الريس علاء إضاءة أنوار المركب على غير العادة، مع تكرار الصوت ينظر عم السيد بكشاف ضخم حول المركب حيث مصدر الصوت، إنه رجل يصارع الموت ويصرخ، يلقي إليه عم السيد طوقًا بحبل يجذبه نحو المركب، الريس علاء يحث الجميع على سرعة إخراج الشباك من الماء وإنهاء الطرحة.

يتجه إلى الرجل ذو الشعر الكث والجسد المرهق؛ ليتفاجأ الجميع بسكين

قد غرس في ظهر الرجل أسفل الرقبة، لم يكن الرجل في وعيه، لكنهم قاموا نحوه بما يلزم.

أخرج الرجال السكين، وقاموا بعمل اللازم من الإسعافات، والشراب الساخن، والتدفئة، حتى بدأ الرجل بالكلام، لكنه لا يتكلم العربية، هو رجل غريب في لغته، ده بيتكلم انجليزي.

مستر نبيل: لا ده بيتكلم تركي، ولغته الإنجليزية ضعيفة، إنه (كارم) من بورصة التركية.

الريس علاء: سيبوه ينام ويرتاح لحد ما ندخل ونسلمه لحرس السواحل.

يعود الجميع؛ ليتم اليوم على صيد متوسط من أسماك الكسكومري والسردين ذو الحجم الكبير، مع كثير من الشغف لمعرفة قصة كارم، وحكاية السكين في ظهره، ما القصة ومن وراءها؟!

إنها الرابعة والنصف صباحًا، شعاع الفجر لم يبدأ بعد، ينادي رجال مبروك الجديد على عم مرجان صول حرس السواحل القابع ومعه جنديان داخل لنش حرس السواحل على بوابة الميناء لتسجيل دخول وخروج مراكب الصيد، وتسليم دفاتر التسجيل لكل مركب.

يقوم الريس علاء بالعبور إلى لنش الحرس، ومعه كارم الذي تدثر ببطانية، وقد بدت عليه مظاهر الحمى، وزادت حرارة جسده، مما دفع الصول مرجان للاتصال عبر اللاسلكي، والإبلاغ عن الواقعة؛ لتحضر قوة من المخابرات العسكرية وتتسلم كارم.

مرت ثلاث ساعات حتى أتى الصول مرجان بالخبر اليقين، فكارم تركي الجنسية، اختلف مع زملاء له على تلك السفينة بعد أن كانوا يعملون في تجارة المخدرات، فاعتدوا عليه وتم إلقاؤه في الماء لولا قدر الله الذي أوقعه في طريق رجال الشنشيلا، وتم إنقاذه.

وقامت على أثر ذلك قوة من البحرية وحرس الحدود بتتبع تلك السفينة، واتخاذ ما يلزم من إجراءات تجاه عملهم الغير مشروع، وكان الريس علاء وهيب أحد شهود الإثبات في تلك القضية، حيث تم الوصول إلى شبكة من شبكات تهريب المخدرات إلى داخل الأراضي المصرية؛ ليبدأ الحديث بالميناء حول ذلك الشخص وتلك الليلة التي قضاها رجال مبروك الجديد في إنقاذ الغريق، وتتداول الشائعات، ويكثر الكلام حول حقيقة ما حدث، الكل يدلو بدلوه حتى صارت قطرة الماء بحيرة، والبحيرة بحرًا هائجًا مرتفع متلاطمة أمواجه، إنهم الثرثارون كثيرو الكلام فارغو الهدف، حتى صار الحال على غير ما يرام، حين اتَّهم المغرضون أهل مبروك الجديد بتجارة المخدرات، وأن القصة غير القصة، ونُسجت الحكايات، وسُحبت أسنة رماح اللسان؛ لتهاجم الرجال على ظهر مبروك الجديد، لا لشيء إلا حسدًا وبغضًا.

إنهم البشر وطبيعتهم، ولم يجد الريس علاء ومساعده عم السيد السخاوي وباقى الرجال غير الصمت، والتركيز في عملهم، والاستعداد ليوم آخر من أيام العمل، عسى الله أن يتم عليهم أرزاقهم بخير.

صباح

الإسكندرية-السيالة

لم تكن تلك الفتاة اليافعة ابنة الخمسة عشر عامًا إلا ابنة بيئتها، فهي المرحة الضحوك المنفتحة بغير قانون حاسم، تعلم الصواب من الخطأ، ولكن لا مانع من بعض الخطأ، بنت بحري من الطبقة الفقيرة المنعدمة، يتيمة الأب، تعيش في حضير به سبعة أسر، لكل أسرة غرفة منه، وحمام واحد مشترك.

تختلط المفاهيم، وتتوه الحواجز، فالجار يعامل كأخ، وقلة الحدود لا تمنع الخطأ، وصدق النية وصفائها لا يكفيان لتجنب الضرر، ولما يقل الخلق والدين تزيد عطانة ما أسفل الميادين، فتجد المجتمعات في شكل صالح وقلب طالح.

الصدق صورة والكذب أصل، لذا خرجت صباح متفتحة تفهم لغة الشارع، والعيون، والحواجب، وتستطيع تقييم نظرة الرجال، فهي بنت أمها التي طالما كثرت حولها الإشاعات، وارتمى تحت قدمها رجال الحي، وخشي من صوت غضبها نساؤه.

تعلم صباح أن لا أحد سيقترب للارتباط بها لما لأمها من حال لا يعجب أهل الاستقامة، وتريد في نفسها الفكاك من تكرار مصير لا تراه حسنًا لذا قررت أن توقع بعلي وهيب في حبائلها التي نسجتها حوله في طابور الفرن، حيث كان يخرج ليأتي بالخبز لرجال الشنشيلا، فغدت ترقبه، وتتودد إليه، وهو الذي لم يخبر قبل بالفتيات، ولم يبرح إلا قليلًا منذ تحركت مشاعره تجاه الأنثى، فهي أول من حركها، ولمس شغاف أحاسيسه ومشاعره، دقت الفتاة بحرفية على وتر قلبه ومنابت شهوته دون ارتواء وبلا منع.

إنها تقول كما قالت لها أمها في كيفية تعامل الفتاة مع الرجال ضاربة لها المثل الشعبي القائل: (شوق ولا تدوق)، ذلك مبدأها، حتى وجدت من علي وهيب تلك الاستجابة وتلك النظرة، وطار حين طلبت منه بعض الأسماك، فكان يختلس الفرصة، ويطلب من أخيه بعض الأسماك بحجة صاحب الفرن الذي يسهل له عطاء كمية تكفي للرجال، فكان علاء لا يمانع في إعطاءه ما يريد؛ ليذهب علي إلى بيت صباح حاملًا الأسماك، فتخرج له متزينة كاشفة بعض مفاتنها؛ ليقع الفتى، وتتفق الفتاة والأم على استضافته يومًا لديهم على أنه قريب لهم، وهي اللحظة التي حانت ليوم مولد أبو العباس

المرسي، حين أتى هو والرجال إلى تلك الخيمة، وأومأت له الفتاة، وتبعها إلى غرفتها، واقترب منها، ولم تبالِ منه بعض الأعمال الطفولية كأنه يتحسس طريقه، ترتعش يده، يدق قلبه، يكاد ينفجر من سرعة ضخ الدماء في عروقه، لكنها هي نفس اللحظة التى فتحت فيها أم صباح باب الغرفة فجأة، ونظرت للفتى نظرة لوم وعتاب، بلا صوت ولا صخب، وعلي الذي لملم نفسه بسرعة، وتركت صباح مكانها لتخرج من الغرفة، وتجلس أم صباح تلوم الشاب على خيانته للأمانة والثقة، وعادت صباح لتجلس بعد أن أخذت الأم وعدًا من الفتى الغر أنه سيصلح خطأه ذلك، وأنه ينتوي الخير، وصباح هي فتاته التي يحبها!...

وقع الفتى في حبائل صباح وأمها، وبدأت صباح تتعامل معه كونه فتاها وهي فتاته، ودخل علي وهيب دوامة بنت المدينة وأمها.

٧- الطرحة الخامسة

الهمبوكة (The horse fish)

سيدي عبدالرحمن

يعود الريس علاء من مقابلة مع ضباط حرس الحدود والشرطة التي أخذت شهادته وأقواله بصفته ريسًا للمركب التي عثرت على كارم التركي، ولاستكمال الشكل المنوط به تحويل الأمر للقضاء.

يأمر الرجال بتجهيز ثلاجة المركب على غير العادة، فرجال الشنشيلا بالساحل الشمالي لا يستخدمون الثلج، وليس لعنبر الثلاجة دور إلا تخزين مستلزمات العمل من غزل وكلوبات وغيرها.

إذًا هناك أمر جديد، وسفر قد يكون

لأيام، والثلج و الثلاجة لحفظ الأسماك.

السيد السخاوي: تمام يا ريس علاء، على فين العزم؟

الريس علاء: النهاردة على قهوة ٦ أكتوبر قابلت الريس عبده القواص والريس علي شرابي.

السيد السخاوي: بس دول مراكب صنَّار يا ريس مش شنشيلا.

الريس علاء: أيوا بس هم قالولي إنهم من يومين كانوا في سيدي عبدالرحمن، وإن أسماك الهمبوكة هاجمة هناك، وإنهم اصطادوا منها كمية

لا بأس بها، واليومين دول عدل يعني السمك مش هيترك المكان؛ لأن

المايه مش ماشية، هنروح ونجرب بس علشان المكان بعيد ومينفعش نرجع كل يوم هناخد معانا ٢٠٠ بلاطة ثلج، وربنا يكرم، بس مش عاوز حد ياخد باله.

يأتي رجال النقل بالثلج الذي يوضع بكل خفة داخل مبروك الجديد، يرص داخل ذلك المكان المجهز لذلك الغرض، تقترب الساعة من العاشرة والنصف صباحًا.

الريس علاء: ألسطا المخطاف.

يرفع مخطاف السفينة بعد رفع الفلوكات على ظهرها، وجر الثالثة بالخلف

-(الفاتحة للنبي..الفاتحة للنبي).

تخرج مبروك الجديد من الميناء، الرجال في حيرة عن هذا الخروج المبكر.

الريس علاء: الدفة على الغربي يا سيد.

السيد السخاوي: تمام يا ريس علاء.

الريس علاء: احنا هنسافر ٦ ساعات، كل واحد يروح يريح و ينام.

علي وهيب يسرح لأنه سيغيب يومان بثلاث ليالٍ عن البر، حيث توجد صباح التي ملكت لبه.

الرجال كل منهم يخلد للنوم ليرتاح جسده، بعضهم في فلايك الأنوار وبعضهم في عنبر النوم، حيث صوت الماكينة المزعج بالخلف، أو عنبر الأمام حيث يضرب الموج أعواد الخشب، ويسمع صوت السفينة وهي تشق البحر، ويلعب البحر بالسفينة كأنها دمية بين يدي طفل أهوج.

تمر مبروك الجديد بمعالم الطريق غرب الإسكندرية بداية من قلعة قايتباي، ثم قصر رأس التين، ثم الفنار وخليج المكس، وشمندورات خط سوميد[٢٨] عليه ناقلات البترول العملاقة، ثم خليج العرب الذي يحتوي معالم العالمين، ونُصُب المقابر للحلفاء والمحور بالحرب العالمية الثانية، بينهما قلعة رومانية قديمة، ثم ميناء الحمرا للبترول حيث تقف على سقالته لنشات الخدمة، وأمامها بعمق البحر صخرة الحمرا[٢٩] بعمق البحر، تتكسر عليها أمواج البحر لا يعلم موقعها إلا عالم بهذا الطريق، وإلا غرقت سفينته تكسرًا على تلك الصخرة المستوية مع سطح الماء كالشبح المختبئ، والآن تظهر مئذنة المسجد سيدي عبدالرحمن فوق التل من خلف خليج رائع صافِ المياه، يحتضن عددًا من فيلات علية القوم السابقين فوق موقع مميز لا يعلم ميزته إلا محب للطبيعة وصفائها. إنه خليج سيدي عبدالرحمن المميز في كل شيء، روعته وصفاء صخوره متداخلة وكثافة أسماكه.

---

٢٨ شمندورات خط سوميد: منصات تحميل بترول خط سوميد أمام ساحل الاسكندرية.

٢٩ الحمرا: صخرة ضخمة تقع داخل البحر مستوية مع الماء سميت بذلك لكثرة الطحالب الحمراء عليها.

الساعة الخامسة تقريبًا ينزل الرجال فلوكات الأنوار، وكل فلوكة قد تجهزت بأنوارها ورجليها ومجدافيها وهلبها في أرض جديدة لم يخبرها رجال السفينة من قبل، لكنه البحر والرزق اللذان يدفعان الرجال نحو كل جديد وكل مخاطرة.

*الليلة الأولى الهمبوكة (The horse fish)

تغيب الشمس وتبدأ مباراة الأنوار في خليج سيدي عبد الرحمن، يتوهج نور كلوبات الفلوكات الأربع، سعد مبروك، ويونس مرزوق، والتوأم، إلى جانب قارب الإنقاذ المرافق للسفينة والمربوط خلفها بسلب طويل، وقد أضاءه الريس علاء، فاليوم لن نعود إلى الإسكندرية، وسنبقى في ذلك الخليج.

يقابل أنوار البحر هذه نور فيلات الخليج الباهت، ونور ميناء الحمرا، ورصيف البترول الخاص به.

الجميع سارح كعادته في ملكوت الله، وفي شواغل فكره ينظرون لفيلات الخليج، يغبطون سكانها على ما هم فيه من رفاهية المصيف، والإجازة، ونزول مياه البحر في حر يونيه وأغسطس، نعم، هم أهل الثراء والرفاهية، ونحن أهل الشقاء والعمل.

نجوم الليل لامعة وشهبه لا تتوقف، كأنها حرب ضد الشياطين تدور على حواف الغلاف الجوي، يقف من الرجال بعض أهل القلوب، يصلون في هذا السكون الداعي للتفكر في خلق الله وكونه.

الغرب صافي، السماء قريبة، نجومها يلمع فيها الدب القطبي[٣٠] لامعًا واضحًا، ونقاء هواء الشمال لا يخلو من نسيم بارد يقتل ما كان من حرارة النهار.

-سبحانك سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنتَ كما أثنيت على نفسك، واحد أنتَ في علاك، اللهم وفقنا لما تحب وترضى، وأصلح حالنا وحال أبناءنا، ووسع لنا في أرزاقنا، اللهم اجعل الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا.

كان هذا دعاء عم متولي الذي جلس أعلى بريدج المركب يصلي ويدعو الله، وبالخلف استلقى الريس علاء فوق شباك الشنشيلا يتأمل ملكوت السموات، ويتعجب من خط الضوء المتصل بالسماء، تتلألأ النجوم من حوله خط المجرة[٣١]، ينظر علي وهيب إلى البر حيث صخب موسيقى الخليج، فيرى صورة صباح تداعب خياله.

تمر سويعات قليلة لتظهر فجأة أشباح تحت ماء الفلوكات الأربعة، عيون واسعة، ورؤوس غريبة الشكل، يقفز بعضها حول أنوار الفلوكات قفزات هائلة، إنها أسراب الهمبوكة أو الهورس فيش.

تشبه أسماك الأساطير، تقف كالأحصنة الطائرة بأحجامها المختلفة وألوانها الفسفورية، تدور من نور إلى نور بأعداد تفوق خيال البحارة، وهم السفينة الوحيدة التي شرعت في نشر نورها بهذا المكان، إنه الرزق ينادي

٣٠ الدب القطبي: أحد أبرز النجوم في السماء يشير نحو الشمال.

٣١ خط المجرة: يظهر تجمع النجوم لدرب التبانة في صورة خط متصل من الضوء بالسماء.

صاحبه أينما كان، والسعي الذي يدفعه ليجاري الزمان والمكان باحثًا عن رزقه الذي قدره الله له أينما كان.

يوقظ الريس علاء الجميع في الثانية عشرة لتدور مبروك بغزلها حول فلوكة الإنقاذ المرافقة للمركب؛ لتبدأ رحلة جمع أسماك الهمبوكة من الخليج كأنهم ينادون عليها أن تجمَّعي تحت أنوارنا، فأنتِ اليوم رزق لنا، ويصدح الحادي عم متولي طرحة تلو الأخرى؛ ليعمل الجميع حتى بزوغ الفجر وبعده في جمع تلك الأسماك، وامتلأت ثلاجة المركب عن آخرها.

أتى الصباح واستمر العمل، ولم يكتفِ الرجال بأربع طرحات بل ظلوا يرقبون الأسماك، يتتبعون طريقها، يجمعون منها ما تستطيع شباكهم اصطياده، حتى كشف النهار عن نوره، فأفلتت الأسماك من الشباك إلى رحاب البحر الواسع، وحل التعب والإرهاق بالرجال، وكانت الساعة تقترب من الحادية عشرة صباحًا، وقد بدأت شمس النهار تضرب مياه البحر، و تكوي يابسة الشواطئ، فقرر الريس علاء الركون إلى الخليج، وإراحة بدن رجاله المرهقين من عمل شاق ليوم كامل وليلة كاملة ونصف نهار، لم يفتروا عن العمل وجمع رزقهم من أسماك الهمبوكة.

يلقى مخطاف السفينة على مقربة من الشاطئ الذي بدا من عليه كخيالات بشر، وأصوات صراخ، وضحكات وموسيقى، يرد الرجال الغزل ويغسلونه، ثم يطهو لهم المسؤول عن المطبخ طعامًا من صيد اليوم، إنها الصيادية.. رائحة الأسماك الطازجة مع الأرز والبصل، وهواء الشمال المنعش، ومع صفاء مياه الخليج ومنظر صخوره الرائعة لوحة طبيعية لجزء من الجنة في

خيال رسام مجيد في فنه.

يجلس التوأم أحمد ومحمود علي سلامة وعلي وهيب ومجموعة شباب المركب خلف السفينة انتظارًا لنزول الطعام قبل الخلود للنوم، يمسك محمود النظارة المعظمة يطلع بها إلى هؤلاء على الشاطئ، حيث صخب اللهو وحياة الرفاهية على كراسي البحر ومراتب البلاچات، إنه فضول الشباب، والنظارة لا تفي بالغرض، فما زال لا يرى إلا خيالات، لكنها شبه واضحة لرجال ونساء بملابس الشاطئ، يتزاحم الشباب على النظارة المعظمة لاختلاس نظرة إلى هؤلاء في ملابسهم تلك، وتسمع التعليقات والتمنيات والحكايات كأنهم شهريار ناظرًا إلى نساء المدينة، يختار لنفسه منهن من تناسبه، كل منهم يمني نفسه بالنزول إلى الشاطئ بعيد المنال، ملهم أحلامهم بجمال وروعة نساؤه بملابسهن العارية.

أحمد علي سلامة يمسك بالنظارة، يصرخ فجأة ويقول: هناك زودياك[٣٢] يتحرك من الشاطئ وعليه جماعة من النساء يتجه إلى المركب.

يالها من مفاجأة!! استلقى الجميع على بطنه، ينظر يترقب ذلك الخبر، نعم سبعة نساء يركبن ذلك القارب المطاطي يقوده رجل يتجه إلى المركب، كلهن بلباس البحر الغير محتشم.

يسرع الشباب كلًا إلى شنطته، يخرج أكياس الچل والأمشاط وزجاجات العطور المخبأة ليوم العودة لبرج البرلس، فتيات جميلات قادمات، لعلها فرصة عمر، ولحظة لا تكرار فيها إلا قليلا.

٣٢ زودياك: قارب مطاطي صغير.

عم سعد مبروك: اتقوا الله، ولا تجعلوا فتنة النظر الحرام ساحبة لكم.

علي وهيب: لحظة الحظ متتعوضش يا عم سعد.

يونس مرزوق يجلس على فلوكته جلسة الأسود، فاتحًا فاه في عجب واستغراب.

تم تجهيز الطعام.

الريس علاء: يا رجالة، كله يقعد ياكل.

الطعام شهي، والرقاب تراقب سير القارب الخارج من شاطئ الخليج وعليه جماعة النسوة، يقترب من السفينة، يشير الرجل من بعيد لرجال المركب، يعلم الجميع أنهن يقصدن المركب، ما زال الشباب في الانتظار، والكل إلا من رحم قد فتح فاه، وعلَّق ناظريه على ما يحمل القارب من غرائب، علهن وعلهن خيالات طفولية ووسوسات شيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم.

يقترب القارب، يمسك الرجل حبلًا، يلقي به إلى رجال السفينة، فجأة، تعلو ضحكات الشباب، وكذلك عم سعد الذي يقول لهم: بصراحة حلال فيكم ربنا يجعلهم من نصيبكم.

سبعة نساء عفا عليهن الدهر، أقلهن سبعينية العمر، بدا منهن العظم تحت جلود الكهولة، لم يعرفن الحشمة يومًا، ولم يسمعن بها، كأنها رسالة من الله لهؤلاء الشباب، هن من كنتم تنتظرون، خدعة النظر الحرام وخيالات الشيطان، كن هؤلاء يومًا مرغوبات، واليوم يعف أحدهم أن ينظر إليها، لا

دواء لدائهن، ولا علاج لعشق الجسد إلا عشق الروح؛ ليسمع الجميع عم متولي يغني: وعشق الروح ملوش آخر لكن عشق الجسد فاني.

يرتج الخليج بضحكات أهل مبروك الجديد، وتحسر الشباب على الچل المسكوب، والعطر المكبوب، يتجه الجميع للأكل اللذيذ، ويشتري الرجل وجماعة النساء ما أتوا من أجله من الأسماك الطازجة، فالسعر لم يكن يهمهن، إنها المغامرة، وقد دفعوا ما طلبه منهن الريس علاء، و عادوا من حيث أتوا، وذهب الجميع في نوم عميق، وقد طرد الشباب شيطان نفوسهم، وعلموا أن أقدارهم بيد الله، وأن الفرصة لا تأتي بل تؤخذ مع الاستعانة برب الكون العظيم.

الليلة الثانية ـ الموزة

إنها الرابعة والنصف حين سمع الجميع صوت جرس مبروك الجديد؛ ليصحو الجميع على مياه البحر وقد تغير لونها الى اللون الرمادي، وقد تحركت المياه، أي أن الأسماك العائمة قد رحلت مع حركة المياه، لكن لا مناص اليوم من إعادة الكرة في هذا المكان، فلا وقت للرحيل ولا أرض قريبة تصلح لعمل الشنشيلا هنا.

إذا سنبقى اليوم بالخليج، وغدًا لناظره قريب.

تدور الماكينة ويسحب مخطافها لتقوم بتوزيع الفلوكات مرة أخرى على رأس خليج سيدي عبدالرحمن ليلة أخرى مع أنوار الفيلات التي ازداد بهتانها، والأنوار الأخرى التي بهتت هي الأخرى لعوالق الجو وسرعة الريح، بما يدعو لعمل سريع وإنجاز.

الريس علاء: على الله.

لتترك فلوكة سعد مبروك، ثم يونس مرزوق، ثم فلوكتي التوأم؛ ليقف الريس علاء بعدها مراقبًا الرياح التي بدأت تشتد على السفينة، لكنه قرر الاستمرار عسى سرب من الأسماك يستقر تحت إحدى فلوكاته، وما هي إلا ساعة حتى أيقن أن اليوم ليس يومه لكنه فوجئ بنور مشعال من يونس مرزوق في تمام العاشرة؛ لتدور مبروك بغزلها حول فلوكته حاصدة كمية لا بأس بها من أسماك الموزة، لكنها كانت طرحة شديدة صعبة، ارتفع الموج واشتد عليهم، حتى أنهم أخرجوا الشباك من الماء بصعوبة.

الأمواج أعلى من أن تتحملها الفلوكات الصغيرة، يجب جمع الفلوكات سريعًا قبل أن تجرها المياه، لكنه القدر الذي لم يمهلهم حتى تجمع فلوكاتهم، فبعد رفع فلوكة يونس، وضم فلوكة سعد مبروك دون عمل طرحتها إذا بهم يفقدون أثر فلوكة الشابين أحمد و محمود علي سلامة زينة شباب البلد، وأمانة والديهما لدى الريس علاء.

اختفى نورها فجأة، وأصابت الصدمة الجميع ما بين منادي بصوتٍ عالٍ، وما بين ممسكًا بكشاف يبحث بين طيات الموج المرتفع.

البعض يبكي ظانًا بالسوء، والبعض يحدوه أمل في إيجادهما، لولا أن الموج المرتفع والرياح التي اشتدت لم تمهل الريس علاء كثيرًا من التفكير في مصير باقي الرجال، اختفى إثنان، وثمانية وعشرون على حافة الخطر، لا مفر من فرار سريع ينهي هذا الجدل الذى بدأ بين الرجال، نسرع بالخروج من هذا المكان، هذا رأي أهل الخبرة من كبار السن، أما الشباب فيصرون

على رفع الصوت بالنداء، وتوجيه الكشافات نحو الأمواج العاتية بحثًا عن فلوكة التوأم، لكن القرار قد حُسِمَ من الريس علاء بأخذ طريق العودة إلى الإسكندرية؛ ليخيم الصمت والوجوم على وجوه الجميع، بكى بعضهم، ووضع آخرون سيناريوهات أخري.

ثمانِ ساعات من السفر في بحر هاج موجه واشتد ريحه، الحزن يخيم على الرجال، كم تمنوا لو أن لديهم أجهزة اتصال بالبر أو بالسفن المجاورة، لا أحد يقف بظهورنا حين المصيبة، حال من قلة الحيلة والتسليم لنوائب الدهر وحوادثه بلا سند، إلا من لطف الله بهم، لا بر يظهر، فالإبحار في العاصفة فن لا يجيده إلا قليل.

عم السيد و الريس علاء يتناوبان الإمساك بدفة السفينة، والرجال كل منهم يحاول أن يحمي نفسه من مياه الأمواج التي ما تلبث أن تذهب واحدة لتأتي أخرى تغطي السفينة.

جمال وفرحة رزق البحر لا يخلو من مرارات التعب وحزن المصائب، الشكر واجب في جميع الحالات، والتسليم والاسترجاع أصل في حياة كل مؤمن حين المصيبة و الضرر.

تصل مبروك الجديد إلى الميناء في تمام الثامنة والنصف صباحًا، يسرع الريس علاء بالإبلاغ عن حادثة اختفاء الفلوكة وعليها رجلان، ويرسل البيان إلى وحدات حرس السواحل.

تخرج الأسماك سريعًا، حصيلة ضخمة ورزق وفير، فرحة تكسرها أحزان على هذين الشابين وإن هي إلا ساعة حتى طار الخبر إلى البلدة، وكان

الاتصال من كبرائها موجهًا لكل الرجال من صائدي الشنشيلا بالإسكندرية على باقي المراكب، وما أن رفع أذان الظهر حتى كانت جميع المراكب خمسة عشرة سفينة صيد تخرج من الميناء، تمسح غرب الإسكندرية بحثًا عن فلوكة التوأم، عسى أن يعثروا على أثر لهما بعد تلك الرياح.

تسير السفن في صف ماسح للبحر من الشاطئ إلى العمق في كل مكان متوقع، بداية من خليج الأنفوشي مرورًا بخليج المكس، ثم العرب، فسيدي عبد الرحمن.

الكل يضع نفسه مكان الريس علي سلامة، الأب المكلوم، ويتمنى من الله سلامة الولدين.

الكل يسعى، حتى صاحب رأس المال ومالك السفينة مبروك الجديد الحاج (علي الحلواني)، يجلس في مكتبه، ويجري اتصالاته ببعض المعارف في أجهزة الدولة وحرس الحدود لإبلاغه إن كان خبر بالساحل حول تلك الفلوكة والشابان.

المراكب لا تعود، ويصر كل ريس أن ينشر فلوكات الأنوار في أماكن يتوقع انجراف الفلوكة أو بقاياها إليها، حتى صار الساحل الغربي نورًا متصلًا، كأن مدينة موازية لغرب الإسكندرية قد نبتت في هذا المكان، وتلقى الشباك؛ لتجتمع الأسماك، وكل نياتهم الوصول لخبر أو علامة لفلوكة أحمد ومحمود علي سلامة.

ليلة صاخبة لا حداء ولا غناء، لا اهتمام بصيد سمك ولا رزق بحر ولا مال، إنهم جماعة صيادوا الشنشيلا أهل برج البرلس، يبحثون، يأتلفون،

يقف أحدهم جوار الآخر في الشدائد حتى وإن كانت تلك الوقفة ضد رزقه ومصلحته، إنها الأخوة والحب في الله.

لا خبر في الشباك يأتي، وكأن الفلوكة تسربت داخل الماء أو تبخرت في الهواء.

الحاج علي الحلواني

رجل عصامي صاحب رأس مال وتجارة، يعمل في صناعة الحلوى، له مصنعًا ودكاكين بشارع وكالة الليمون، حاسم في إدارته للمال، يعطي المال حق الله فيه، فيخرج زكاته منتظمة بلا نقصان بل بزيادة ورضا.

اتجه إلى بناء سفن الصيد في البحر بعد نصيحة من صديق له يعمل بهذا المجال.

يصادق الصالحين، ويجالس المشايخ، رزقه الله من زوجته بنتين جميلتين، شاهيناز وصافيناز.

فأصول الرجل تركية، و تربيته مصرية، صرفه ذو شكيمة وهيبة، صاحب رقة قلب و بكاء.

يصله خبر الفلوكة التائهة وهو الخابر بأبيهما وقصته، لقد كان ربِّسًا، وهو من رشح له علاء وهيب ليكون من بعده بعدما أصابه الكبر، ولم يعد يقوى على منازلة البحر، وعايش شوقه لولديه، وسمع أمنياته من قبل عنهما وعن تخطيطه للمستقبل لهما.

ولما جاءه ذلك الخبر عن فقدانهما بكى حال الأب، ورقَّ قلبه لما وضع

نفسه مكانه.

أجرى اتصالاته قدر جهده، يوم وليلة لم يذق طعم النوم بل واستضاف الأب المكلوم وزوجته في شقة الضيافة في بيته الخاص به، وما أن وصل الخبر في فجر اليوم التالي حتى طار به نازلًا إلى عم علي سلامة وزوجته، مخبرهم أن رئيس وحدة الاستخبارات في حرس السواحل اتصل به، وأخبره أن الولدين بخير، وأنهما الآن في إحدى وحدات حرس الحدود، و غدًا يأتيان إلى الإسكندرية في تمام العاشرة صباحًا، فلم ينم الرجل ولا زوجته حتى نزل بهما الحاج علي الحلواني، وصاحبهما في سيارته، حتى وصل إلى مقر حرس السواحل، وبعد الإجراءات تسلم الولدين، وأصر على أن يعود معه الجميع إلى منزله للمبيت، والراحة، وتناول الغداء.

روعة البدايات

صافيناز-شاهيناز

أحمد-محمود

داخل صالون المنزل بالدور الثاني حيث يقيم الحاج علي الحلواني، دخل الريس علي سلامة وزوجته وولديه، بعد أن أخذ قسطًا من الراحة وارتديا تلك الملابس الجديدة التي اشتراها لهما الحاج علي الحلواني، وصعد والولدين إلى حيث يقيم الحاج علي وزوجته وبنتيه داخل ذلك الصالون الفخم، جلست الزوجة تسأل عن الحدث، وكانت الأسرة منشغلة بها، وقد قتلهم الفضول لمعرفة ما حدث للولدين، خاصة الفتاتين اللتين ظلتا تتحاوران عما حدث لتلك الفلوكة في عباب الريح، وكيف واجها تلك المخاطر، و ما مشاعرهما.

فكان الحوار بداية لخيوط الإعجاب والود التي بدت واضحة تنسج شيئًا فشيئًا بين الفتاتين والفتيين اللذان بدأ كل منهما يروي عن ما حدث.

أحمد علي سلامة: في البداية كنا نراقب فيلات الخليج وإذا بالرياح تهب شديدة مفاجأة، فقام محمود برفع المشمع لنتقي الرياح والأمواج التي بدأت تغطي الفلوكة، وتلعب بها كأننا نركب مراجيح المولد.. (يضحك الجميع على طريقته المضحكة بالسرد)، وفجأة نسمع صوت انقطاع حبل المخطاف، فأيقنا بالخطر القادم، وقمنا بإنزال المجدافين، وخلع المشمع الحاجب للرؤية، وتشاورنا كيف النجاة من هذا الموقف؟ فالفلوكة كالريشة في موج البحر الهائج، وخطر تكسرها على صخرة الحمرا التي لا نستطيع رؤيتها في هذا الظلام، وخطر اشتعال الحريق في حال أن فلتت خراطيم الغاز وطال الغاز السائب نار الكلوبات.

جاءت الفكرة لمحمود العبقري، أولًا اقترح أن نرفع مشعالًا لمبروك والريس علاء، لكنه فشل لسرعة الريح، وارتفاع الموج، ثم قام بفصل الخراطيم، وأطفأ الأنوار، وكانت عبقرية محمود غير متوقعة.

شاهيناز: إيه بقى الفكرة العبقرية يا أستاذ محمود يا عبقري؟!

محمود: لقد كانت اسطوانات الغاز بخيرها، فقلت يمكن استغلال ذلك بربطها معكوسة، واستخدام قوة دفع الغزل لدفع الفلوكة وتوجيهها بعيدًا عن الحمرا، حتى لا تتكسر الفلوكة، ويحدث ما لا يحمد عقباه، حتى اقتربنا من الشاطئ، وسمعنا صوت رجال حرس السواحل، وهنا وقف أحمد ونادى على حرس السواحل الذين استقبلونا، وقاموا بعمل اللازم من طعام وشراب

بعد أن استمعوا للقصة، وتم إبلاغ إشارة بذلك حتى عدنا.

كان محمود يسرد القصة وسط اندهاش الحاج علي الحلواني وزوجته وانبهار الفتاتين بما لدى الولدين من قوة، وجلد، ولباقة حديث، كأنها بداية لها ما بعدها كأن عائلة تجلس في ود، وضحكات فرحة، وأحلام ليلة دافئة المشاعر.

الود بادي بين الجميع، تنتهي الليلة على وعد بجلسات أخرى وحكايات أخرى عن البحر ولياليه، ودَّت الفتاتان أن تسمعاها من الولدين ووالدهما عم علي سلامة ريس البحر السابق.

٨-الطرحة السادسة

عطشا-أبو تلات (سوميد)

بقيت سفن الشنشيلا تلك الليلة تجوب الساحل الغربي للإسكندرية، نشروا أنوارهم في كل مكان يصلح للعمل، تلك الليلة لا لجمع الأسماك، وإنما للبحث عن الفلوكة التائهة والولدان ابنا الريس علي سلامة، تمر الليلة صعبة شديدة، لا فرح فيها على صيد، حزن مخيم على ضياع الفتيان مؤازرة للأب المكلوم في ولديه، وما أن طلع الفجر حتى عادت المراكب تجر أذيال الخيبة في العثور على أثر لتلك الفلوكة، وقد كرر الجميع خطة البحث غدًا ستكون جهة الشرق عسى تكون الرياح قد دفعت بأثرهم نحو الشرق.

وما إن دخلت المراكب بوابة الميناء واحدة تلو الأخرى حتى زف لهم عم مرجان بشرى عثور حرس السواحل على الولدين، طالبًا منهم زيادة هدية السمك التي تقدم لهم ولباقي أفراده حلاوة لعودة الولدين.

تقام الأفراح على مراكب الشنشيلا بالميناء، و يغني كل ذي صوتٍ جميل بما عنده من جمال الأغاني.

يطلق بعضهم صواريخ الاستغاثة في الهواء لتعطي نورًا وهَّاجًا فوق الميناء في صباح ذلك اليوم الذي كثر هرجه، حتى أن بعض الرجال قام بإصدار الزغاريد والرقص فرحًا لذلك الخبر، عاد الولدان سالمان، وأخرجت الأسماك، وخرج وفد مبروك الجديد الريس علاء، ومساعده السيد السخاوي،

وسعد مبروك، واتجهوا إلى مكتب الحاج علي الحلواني بوكالة الليمون؛ لتهنئة الريس علي سلامة، وشكر الحاج علي الحلواني على ما قدم من خير لهم ولأهلهم.

وكان الحاج علي قد قرر أن يبقي الولدين باقي أيام الضلمة في ضيافته على أن يكونا ريِّسا بر[٣٣] للمركب، وقد اتفق مع والديهما على ذلك بعد أن رأى الخوف في عيونهما منعودتهما للعمل بالبحر، وقد وعدهما بأن يوفر لهما ما يعينهما على تحقيق حلمهما، بل وأكثر من ذلك قال للريس علي سلامة: أن الله لم يرزقني بأولاد، وأنا في حاجة لمن يساعدني في إدارة مالي، ويكون أمينًا مثل أولادك، وهم أمانة عندي، لن يعودا للبحر، وسيقيمان هنا بالدور الأرضي معي، على أن يساعداني، ولهما مني راتبهم وزيادة.

كان هذا العرض مثار الرضا من الأب والأم والولدين، وفرحة دخلت على قلب صافيناز وشاهيناز اللتان ارتاحتا للفتيان كأنهما معرفة سابقة، وكأن حديث القلوب قد بدا واضحًا.

يرحب الجميع بهذا الطرح، إلا أن سعد مبروك يشعر بضيق في نفسه كأنه فقد شيئًا، فيحدث الريس علاء في مناجاة: ومين هينزل الفلوكة الثالثة؟ أرفض يا ريس، وخلي العيال في حضننا.

الريس علاء: رزق العيال ورزق علي سلامة يا سعد، وبعدين أي حد ينزل مكانهم، الرجالة كتير وربنا يفرح الجميع، دي أرزاق يا سعد.

يفهم سعد مبروك الرسالة لولا أن قلبه يشعر بغصة حزنًا على فاطمة التي

٣٣ ريس البر: هو من يدير شئون السفينة بالبر.

كان يتمني لها أحد الولدين اللذان بدا له أنهما قد وجدا طريقًا آخر للسير ممهدًا بالمال، ومدعومًا بالجمال والراحة النفسية.

يعود الجميع، ولا حديث لهم إلا تلك المشاهدات التي رأوها بالأمس لأسماك المياس وهي تسير أسرابًا بمنطقة عطشا[٣٤]، الكل قرر أن يذهب ليحصد حصيلتها، وهي الأسماك الغالية العزيزة، وقد حان موسمها لمن يقع في أسرابها، ولولا حالة البحث عن الولدين لكانت ليلة عمل ونهار جد في تلك المنطقة.

تخرج السفن في الواحدة والنصف ظهرًا وقد جرت كل سفينة خلفها فلايك الأنوار تقطع بها سطحة الماء الهادئة، يضبط كل منهم بُصلته على الغرب حيث رأوا تلك الأسراب تقفز وتعلم الجميع بوجودها، يشير إليها جماعات النوارس، تلتقط الضعيف منها وتخطف نصيبها من رزق البحر.

قليل من السفر، والشمس تميل عن الزوال نحو الغروب، طيور النورس تتجمع فوق سطح الماء في هياج، تقف فوق أسراب السمك القافزة، إنها أسراب من أسماك الغلنفيش، لحظة لا تترك ورزق يساق.

الريس علاء: ألسطا يا رجالة.

لتدور مبروك الجديد حول أسراب الغلنفيش، تحصد منها ما لا بأس به من الطاولات، تعاود بعض السفن إلقاء شباكها مرة أخرى، وتحجم أخرى لعدم جدوى كمية الأسماك، يصل مبروك الجديد إلى المكان المراد أمام

---

٣٤ عطشا: صخرة مرتفعة مقابل شاطئ أبو تلات بالإسكندرية.

شاطئ أبو تلات، و تحديدًا أمام شركة سوميد[٣٥] حيث ترسو في العمق ناقلات البترول العملاقة تحمل ببترول الخليج المنقول عبر الخط.

منصتي ضخ في عرض البحر توزع فلايك الأنوار حول شمندورة التحميل تلك، تغيب الشمس على أنوار جديدة بالمكان، تتلألأ أنوار الكلوبات بفلايك الأنوار معلنة وجود رجال الشنشيلا تقابلها أنوار شركات البترول وناقلاته ولنشات الخدمة التي لا تفطر عن الذهاب والمجيء ما بين مينائها داخل الشركة وسفن التحميل الضخمة التي يضخ لها بترول دول الخليج العربي.

أنوار تقابلها أنوار، الكل يبحث عن رزقه الذي يسوقه الله للجميع، تمر الليلة ثقيلة على سعد مبروك الذي كان أمله كبيرًا في أحد الولدين لفاطمة، و الآن تبدد أمله أمام مال وقدرات وتجارة الحاج علي الحلواني.

يسرح سعد من جديد ليرى فاطمة على صفحة الماء تنظر إليه حزينة كأنها تلومه على فقدانه ما لا يملك من قرارات، لا يقطع ما هو فيه إلا مساعده رجب علي الذي فرح لما حدث، وأدخل الأمل كبيرًا في قلبه ليروح عن ريس فلوكته ويحدثه.

رجب: هوِّن عليك يا ريس سعد واللي بتخاف منه ميجيش أحسن منه.

ثم يبتسم كأنه يعرض نفسه على سعد مبروك بديلًا عما كان يجول بخاطره نحو أحد الولدين. هنا ابتسم سعد مبروك وأثنى على خلقه وصبره وطاعته لوالدته، حتى زوجت أختاه زينب وصابرين، وكيف تحمل مع

٣٥ سوميد: شركة لنقل بترول الخليج العربي عبر البحر المتوسط.

أمه معاناة فقد والدهم وأكمل المسيرة بعد وفاة أبيه في حادثة أمام ساحل الغردقة منذ خمسة أعوام مضت، وكان سنه وقتئذ أربعة عشر عامًا فقط، وهنا بدأت علاقتهما تأخذ منحى آخر حين فاتحه الشاب في رغبته بالارتباط بابنته فاطمة، فرحب سعد، وطلب منه كتمان الأمر حتى يعودا إلى برج البرلس؛ ليستشير فاطمة ويتحدث هو مع أمه، فكان الشاب رجلًا في عيني سعد، وتعامل الفتى مع سعد كوالده، ووسط تلك المشاعر الفياضة بالمحبة ومع كوب الشاي الساخن تظهر أسفل الأنوار بوادر أسراب المياس صاعدة نحو نور الكلوبات، ترافقها أسراب أخرى من أسماك الغلنفيش؛ ليرفع سعد مشعالًا لمبروك الجديد، يراه الريس علاء وهيب، ولكن هيهات، فالكل يرفع المشاعل، يوم جديد لرزق وفير حيث يعطي البحر رزق الله مساقًا بلا سبب إلا السعي، يتذكر سعد قول الله تعالى: (والذاريات ذروا* فالحاملات وقرا* فالجارياتيسرا* فالمقسمات أمرا*).

سعد مبروك: سبحانك سبحانك سبحانك مقسم الأرزاق، المعطي بلا حساب، المانع بلا سؤال، لا تُسأل عما تفعل وهم يُسألون.

الريس علاء: ألسطا يا سعد.

سعد مبروك: ألسطا يا ريس. على الله.

تدور مبروك الجديد بطرحتها الثانية اليوم بعد طرحة قارب الإنقاذ.

الريس علاء: ألسطا يا يونس.

يونس مرزوق: ألسطا يا ريس، على الله.

الريس علاء: ألسطا يا عبدالجليل.

عبدالجليل وهيب: ألسطا يا ريس، على الله.

أربع طرحات في ليلة واحدة، وقد جمعت فلوكتان مرة أخرى؛ لتجتمع عليها الأسماك تحت أنوارها.

الريس علاء: ألسطا يا سعد.

للمرة الثانية اليوم إنها الطرحة الخامسة.

الرجال في نشاط ما بعده نشاط، وحماس لا يقارنه حماس، فالأسماك غالية الثمن من الأنواع الفاخرة التي يفضلها أهل الإسكندرية كثيرًا ويقدرونها.

يستمر العمل، تقترب منهم بعض لنشات الخدمة التابعة لشركة سوميد، تنتظر أن يُعطوا من رزق الله الذي لم يمنعهم أحد عنهم، فهم الأصدقاء السابقون[٣٦] لولا عملهم على تلك اللنشات.

يأتي الصباح، وما زال الرجال يجمعون الأسماك من داخل الشباك التي ما تفتأ أن تنهي طرحة حتى يظهر سرب آخر من الأسماك، حتى امتلأت السفينة بالسمك، بل ووضع الكثير منه داخل الفلايك التي جذبت خلف المركب؛ لتعود مبروك من ليلة أخرى وقد جبر الله خاطر رجالها بالرزق الوفير، وما أن دخلت المركب حتى كان التوأم محمود وأحمد علي سلامة في انتظارها، وقد قاما بما عليهما نحو الحاجات المطلوبة للمركب، وتابعا مع الريس علاء حركة البيع في سوق حلقة الأسماك، وطلبا من الريس

٣٦ الأصدقاء السابقون: لأن معظم العاملين في تلك اللنشات كانوا من الصيادين.

علاء بعضًا من الأسماك لبيت الحاج علي الحلواني، طلبته منهما زوجته وابنتاه صافيناز وشاهيناز، فتمت تنقية الأفضل والأسمن من الأسماك؛ ليسعد الجميع بعد أن علموا أن حصيلة بيع اليوم فاقت كل توقعاتهم، وبقي كل من أصحاب المصلحة يحسب قيمة نصيبه من تلك الحصيلة بداية من الحاج علي الحلواني الذي جلس ليكتب في سجلات الحسابات إلى الريس علاء وهيب، ثم إلى كل رجال السفينة الذين راحوا في نوم عميق، يحدوهم استشراف يوم جديد يجمع عليهم الخير ثانية.

وفي تمام الواحدة ظهرًا يأتي الشابان أحمد ومحمود يصحبهم الحاج علي الحلواني صاحب السفينة وقد حمَّلوا مركب النقل بالعديد من صواني الطعام الملغمة بلحم كبش ذُبح صباحًا، ودخل الفرن، هدية للرجال وتوسعة عليهم لما جلبوا في هذه الليلة من رزق.

يجلس الجميع على الطعام الشهي، ويشاركهم الحاج علي الحلواني حتى ينزل الشاي، وتدق تمام الثانية بعد الظهر؛ ليخرج الحاج علي والولدين عائدين إلى البر، ويأمر الريس علاء:

-بيرا المخطاف.

لتعود مبروك الجديد إلى مكان الأمس، تمر على ناقلات البترول، وشمندورات الضخ، ولنشات الخدمة، وبالبر تظهر صهاريج البترول لتوزع فلايك الأنوار مرة أخرى، وينتظر الجميع مغيب الشمس؛ لتبدأ مباراة الأنوار بين فلوكات الشنشيلا وباقي أنوار البحر الأخرى لليوم الثاني في نفس المكان، عسى اليوم يشبه الأمس في رزقه.

في بيت الحاج علي الحلواني

صافيناز-شاهيناز

يعود الفتيان بصحبة الحاج علي الحلواني إلى البيت الكائن بشارع فرنسا في تقاطعه مع شارع وكالة الليمون، وهو البيت المكون من أربعة أدوار، دور أرضي به شقة للضيوف، وهو مقر سكن الشابين الآن، يجاورها مخازن لتجارة الحاج علي، ثم الدور الأول، وهو مقر سكن الحاج علي، وشقتان بالدور الثاني والثالث، واحدة لكل فتاة، أما الدور الرابع فهو روف واسع به حديقة سطح وجلسة مناسبات لتجمعات العائلة.

الساعة تقترب من السادسة، يصلي الحاج علي صلاة المغرب بمسجد تربانة [٣٧]، ثم يعود للبيت بصحبة الولدين معه بعد أن دعاهما للغداء الذي أعدته الحاجة أم البنات في جلسة لم تكن الأولى، فقد دأب الحاج علي دعوتهما؛ ليقضيا معه المساء في أحاديث الحسابات والعمل، ثم تناول الشاي والكيك أحيانًا، لقد جذب الولدان نظر الأب التاجر، وفتح لهما قلب الفتاتين بعد أن رأيا إعجاب الأب بهما، وهما المحافظتان على الصلاة، وأوراد الذكر، وقراءة القرآن، فكان جلوسهما مع الولدين جلوس يصحبه الكثير من الحرص على عدم إبداء المشاعر، وإن كان حديث الود لا ينكره أحد، والأم دائمًا ما كانت تُذكِّر الفتاتين بمبادئ الحلال والحرام في العلاقات الإنسانية، خاصة بين الذكر والأنثى، وحريصة على بث الفرق بين المعاني المختلفة، والشبهات التي قد تؤدي إلى ما لا يُحمد عقباه في تلك العلاقة.

---

٣٧ مسجد تربانة: أحد المساجد الأثرية، يقع بشارع فرنسا أمام وكالة المغاربة.

وكان من قولها لهما: بنت الأصول تعرف قدرها ولا تهين نفسها، والحب له قواعده التي يجب أن تكون حلالًا فقط.

فخرجت الفتاتان بصفات الالتزام الخلقي بالرغم من كونهما ملتحقتين بمدارس علية القوم، حيث قمة الانفتاح والبذخ في كل شيء، لولا أن الفتاتين قد غرست فيهما نبتة خير لأصلهما الطيب، وتربية أمهما وأبيهما، فلم تتأثران بمحيط سييء، أو لخلق منحط أو لكبر مصطنع، وديعتان ذكيتان تأثرتا بأبيهما التاجر الذي كان يشركهما الرأي في إدارة ماله، وحكمة أمهما ذات الأصل الطيب، فخرجت الفتاتان نموذجًا في الجمال، والرقة، والحسم، والفطنة، وحسن التدبير والتعقل.

كانت صافيناز معجبة بأحمد علي سلامة في حين أعجبت شاهيناز بمحمود، وكأن الله يبعث لكل إنسان من يشبهه، فالقلوب المتشابهة تأتلف، والمتنافرة تختلف، نعم، القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن يقلبهما كيفما شاء.

يرى الأب ذلك وهو ما كان يتمنى حدوثه، فيدعمه بتكرار دعوة الشابين؛ لتقترب الأرواح أكثر، ولتختبر الطباع، وإن هي إلا أيام حتى طلب الحاج علي لقاء الولدين على انفراد بينه وبينهما.

الحاج علي: كيف أحوالكم الآن؟

الولدان: الحمد لله بخير ونعمة يا حج.

الحاج علي: إيه رأيكم في الإقامة عندنا في البيت؟

الولدان: نعم الناس وأكرمهم، جميلك على الراس يا حاج علي.

الحاج علي: إيه رأيكم لو كانت إقامتكم هنا تبقى دايمًا؟

حتى ينتهي الحوار بالاتفاق على ما خطط له الرجل، بأن يقوم الولدان بخطبة الفتاتين، ومساعدة الحاج في تجارته، على أن يبقيا في الإسكندرية دون الحاجة لما كانا يفكران فيه من السفر، وما الداعِ لذلك؟ وقد حقق لهم الرجل أحلامهما، فلن يجدا أفضل من قبول العرض السخي من الحاج علي الذي اختصر لهما الكثير من الشقاء والجهد، وهما الذكيان، فلم يبديا ترددًا فيما عرض عليهما، خاصة أن كليهما شعرا بما شعرت به الفتاتان من ود وشوق متبادل، لذا وعدا الرجل بأن يكونان خير عون له كما فعل هو لهما، وأنهما من اليوم يعتبرانه مثل أبوهما، وله منهما الإخلاص، والود، وصيانة المال والعرض.

وقد طلب منهما الحاج علي كتمان الأمر بينهما حتى ترتيب الأمور داخل العائلة، خاصة مع وجود العمة نريادا الحلواني، التي كانت تتمنى أن يخطب ابنها حسام المنشاوي إحدى ابنتي خاله، طمعًا منها في مال الرجل، ورغبتها في احتواء أخيها وأسرته داخل أسرتها لزوجها رجل الأعمال الغني، لكن الحاج علي كان لا يعطيها جوابًا شافيًا لطلبها ذلك، لما كان لابنها من صفات لا تعجبه، كما أنه لم يلق يومًا بحب أو ود أي من بناته، ولعلم الأب بما تتمتع به أخته من خصال لن تريحه وابنتيه وزوجته، لذا قرر أن تكون سعادة ابنتاه فوق أي معايير أخرى، وفعل ما فعل من اتفاق مع أحمد ومحمود علي سلامة.

٩- الطرحة السابعة(الفنار)

السيجان (البطاطا)

صباح جديد يأتي على رجال السفينة وقد أخرجت الأسماك عن حصيلة متوسطة، فالأسماك لا تستقر بمكان واحد، تدفعها حركة المياه والرياح، وفطرتها من مكان لآخر، البعض يدرك حركتها بخبرته والبعض يصدف معه الاصطدام بأسرابها رزقًا له، لا حيلة فيه له.

الجميع علم أن أسراب السمك قد تحركت من مكانها، ولكن إلى أين؟ هذا هو القرار الذي سيأخذه ريس كل مركب اليوم، وستفترق السفن كلٌّ يذهب إلى وجهة يراها خيرًا له؛ لتنتشر الأنوار من الغرب إلى الشرق تاركة مسافات كبيرة بين أنوارها أمام سواحل الإسكندرية، كأن كل سفينة تتحدى وحدها أنوار المدينة الصاخبة طوال الليل.

يخرج الريس علاء مرة أخرى ليتجه إلى الغرب، وما أن يسير بالمركب مسافة قصيرة حتى طلب من السيد السخاوي الإبطاء بالمركب، والاتجاه نحو الجنوب الغربي، حيث خليج المكس، وفنار الإسكندرية، ومدخل الميناء الغربي[٣٨]، ليتم توزيع فلايك الأنوار في هذا المكان المقابل لبوابة الميناء.

الساعة الرابعة والنصف، المكان تملؤه العلامات، ثلاث شمندورات متوازية على أشكال مختلفة، يعلو كل منها إشارة ضوئية، تقف على مسافات

---

٣٨ الميناء الغربي: هو الميناء الرئيسي بالإسكندرية.

ثابتة دالة على مدخل الميناء الغربي، يظهر فنار الإسكندرية الواقع داخل الميناء موازيًا لها على خط واحد مشيرًا إلى المدخل.

تنير الشمندورات ثلاث ألوان ذات أبعاد مختلفة، الأخضر، والأزرق، والأحمر، وينير الفنار ضوءًا وهَّاجًا مشيرًا إلى الميناء، باعثًا برسالة ترحيب كأنه يقول هنا ميناء الإسكندرية، أما الشمندورات فتقول للسفن: لا تبتعد عن خط الضوء هذا، وليكن الفنار مواجهًا لك.

لتخرج فجأة من الميناء سفينة خضراء اللون ضخمة، تحتوي الكثير من الخراطيم والمواسير، ولها شكل ليس كسفن الشحن ولا الصيد، كأنها مصنع ذو مضخات ضخمة، يكاد الماء أن يغرقها، وكأنها تقترب من الغرب، تبتعد عن بوابة الميناء لتقترب من مبروك الجديد، ثم تدور فجأة كأنها ترسل تحية ما، وإذا بها مع دورانها حول نفسها هذا ترتفع حتى يظهر أسفلها الذي كان غاطسًا تحت الماء؛ ليحال لون الماء حولها إلى اللون الرمادي المائل للسواد، حتى علت عن آخرها بعد أن أفرغت ما في باطنها، وأخذت طريق العودة إلى الميناء!..

الريس علاء: سبحان الله، علم الإنسان ما لم يعلم، هذه أحدث كراكات العالم تعمل على زيادة عمق الميناء، وتكريك رصفان الشحن داخل الميناء.

تغيب الشمس؛ لتنطلق مرة أخرى مباراة الأنوار بين أنوار الفلايك وأنوار الميناء من علامات دخول، وفنار، وسفن راسية، والكراكة التي ما إن تدخل حتى تخرج بعد ساعتين؛ لتفرغ حمولتها في عمق البحر المواجه للميناء.

ليلة من الصفاء تتلألأ فيها الأنوار المتجاورة، تتقاطع وتنعكس كأنها حرب هادئة بلا صخب، والرجال في نوم عميق، تسمع صوت شخيرهم إلا من اصحاب المهام.

صاحب الوردية عم السيد يجاوره الريس علاء نائمان على قطعة من المشمع التي تغطي غزل الشنشيلا المرصوص بعناية ونظام، يرقبان فلايك الأنوار، وكذلك قارب الإنقاذ المربوط خلف السفينة بنوره الذي بدا أنه جذب كمية من أسماك السيجان[٣٩] أو البطاطا، كمية دفعت الريس علاء لإيقاظ الرجال في العاشرة والنصف مساءً؛ لتدور مبروك بغزلها وشباكها حول قارب الإنقاذ، حيث حصد الرجال ما يقرب من ثلاثين طاولة من أسماك البطاطا؛ ليتجه بعدها نحو فلوكة يونس مرزوق التي يحصد منها عشر طاولات أخرى، ثم يصل إلى فلوكة عبد الجليل وهيب ريس الفلوكة الثالثة، ولم ينطق الريس علاء بكلمة ألسطا حتى سمع صوت سارينة ضخم يخرج من أحد اللنشات الحربية، يقف على مقدمته ضابطًا بحريًّا، يتحدث في ميكروفون محمول بيده، وعلى جانبي اللنش يقف جنديان يطبقان قواعد التثبيت البحري على رجال مبروك الجديد الذين ارتعدت فرائسهم لموقف لم يكونوا قد تعرضوا له من قبل.

صوت الجنديان مع ميكروفون القائد، والسارينة، ولنش صواريخ حربي، وأوامر مشددة بأن يجمع الريس تلك الفلوكات الآن، ويتبع اللنش داخل الميناء الآن، فلا يجد الريس علاء بدًا من الصياح: (تمام يا فندم).

---

٣٩ السيجان: يطلقه أهل بورسعيد والبحر الأحمر وتسمى البطاطا بالإسكندرية.

وهو الجندي السابق الفاهم للموقف الذي يحدث، ثم طلب قائد اللنش منه الأوراق ودفاتر المركب، وأخذها مع الريس علاء وهيب، وتبعته مبروك الجديد، يقودها عم السيد السخاوي نحو الميناء بعد أن ربط الفلايك خلفه، ولملم الرجال ما بقي فيهم من شجاعة، وبدأ كل منهم يرسم سيناريو القادم داخل ميناء لم يدخلوه قبل اليوم.

ربطت مبروك الجديد وفلايك أنوارها على رصيف خاص في أقصى يسار الميناء، وطلب الريس علاء من الضابط الذي اصطحبه إلى مكتبه الخاص داخل الميناء أن يسمح له بالاتصال، فأذِنَ له، واتصل بدوره بالحاج علي الحلواني الذي أجرى اتصالاته، وتم إدخال سيارة نقل يصحبها الشابان أحمد ومحمود علي سلامة إلى داخل الميناء عبر باب واحد أول بوابات الميناء؛ ليتم تحميل الأسماك كي تباع، ويصل الحاج علي الحلواني بصحبته أحد الضباط لمقابلة الضابط المسؤول لمعرفة سبب هذا الإجراء، حيث أخبره الضابط بأن المركب كان يوزع فلايك الأنوار بالمجرى الملاحي لدخول الميناء، وهذا أمر ممنوع لكونه يعرض السفن للخطر، لذا سوف يحرر محضرًا ضد الريس والمركب، وهنا اعتذر الحاج علي بصفته صاحب السفينة، وأخرج الضابط المصاحب له ورقة تفيد أن السفينة مبروك الجديد مسجلة لدى القوات المسلحة بأنها مجهود حربي أي إنها تحت أمر الدولة متى طلب ذلك، لذا نعتذر عن ذلك الخطأ، ونرجو إطلاق سراحهم والعفو عن ذلك الخطأ الغير مقصود من الريس وطاقم المركب، فاستجاب الضابط المسئول عن حراسة الميناء وتأمينه، وطلب من الريس علاء عدم تكرار ذلك الخطأ.

تسير مبروك الجديد داخل الميناء الغربي خارجة نحو البحر الواسع بين السفن الراسية للشحن أو التفريغ، عليها أطقمها، ورجالها، ورجال مبروك يصرون على الوقوف بالخلف جوار غزل الشنشيلا، مجتمعين فرحين لزوال تلك السقطة، معلنين خروجهم مرة أخرى، متبعين نفس إجرائهم السابق حين الخروج من الميناء الشرقي؛ ليعلوا صوتهم أكثر من مرة: (الفاتحة للنبي- الفاتحة للنبي).

كأنهم يجذبون أنظار البحارة إليهم، ولسان حالهم يقول: نحن هنا، نحن رجال الشنشيلا؛ ليبدأ اليوم الثاني عشر من أيام الضلمة، وتدور مبروك مرة أخرى أمام الميناء، تجمع أسماك السيجان لليوم الثاني، ولكن بعيدًا عن مجرى السفن، وبعيدًا عن تحدي أنوار لا تستطيع معها إتمام التحدي.

فردوس

برج البرلس

على الطريق الدولي بجوار مرسى مراكب الصيادين، على شاطئ البحيرة، بنى عم صبحي السبيعي وزوجته سعدة محروس عريشًا؛ ليكون سبيلًا لأكل العيش، يقدمان الشاي، والقهوة، والجوزة٠٤ لصيادوا البحيرة، وكانت تقوم طفلتهما الصغيرة فردوس باللعب أمام العريش، ومساعدة أمها متى طلبت ذلك.

تمر بها الأيام، وتشب الفتاة بطلَّة وضيئة تحمل جمال فتيات البرلس من قوة بدن، واتساع عيون، وشعر كستنائي مائل للصفار.

تخور قوى الأب، وتلقى الأم وجه الله حين كانت فردوس بالسادسة عشر من عمرها.

الجميع صديقها، فالأطفال بالأمس كانوا سويًّا يلهون، واليوم دب الشباب والفتوة، وانطلقت المشاعر، وتغيرت الأجسام، فدخلت الفتيات الخدور، وخرج الشباب للسعي وطلب الرزق، تفرق الجمع من حول فردوس إلا من عجائز البحيرة الذين لا يقدرون على عمل البحر في ليالي الشنشيلا، أو من سائقي البلدة الذين كانوا يتخذون أمام العريش موقفًا لتحميل طلباتهم نحو بلطيم، أو باقي قرى مركز البرلس إلى ٤٠ الجوزة: النرجيلة أو الشيشة، وسميت بالجوزة لاستخدامهم ثمار جوز الهند في صنعها قديمًا.

حين اجتماع الناس مرة أخرى في الليالي المقمرة، حيث إجازة رجال الشنشيلا، يعود الشباب والرجال عشرة أيام بتلك الإجازات، فلا يجدون أفضل من مقهى عم صبحي ملجأً وسامرًا لهم، وفردوس التي كانت بالأمس رفيقة الطفولة واللعب على ضفاف البحيرة هي وغيرها من فتيات البلدة، لولا أنهن في البيوت، وهي تسعى مع أبيها على رزقها وأكل عيشها.

رجلًا في معاملاتها، تعرف لكل قدره، تعلم أصول الرجال ومعاملاتهم، صاحب الخلق بالخلق يعامل، والوضيع بوجه الرجولة الخشن يرد، لكنها الآن الأنثى كاملة الأنوثة، أربعة وعشرون عامًا، تأكلها عيون الخبثاء طمعًا، ويحزن لحالها كل قلب صافٍ لما كان من عزوف الكثير من العائلات عن الارتباط بها لأبوها وظروفها تلك.

تمر عليها الأيام متشابهة في سيرها ورزقها، تنتظر العشر القمرية؛ ليزيد

الناس من حولها، حيث يكثر الطيبون من رفقاء الطفولة، ويزيد رزق المقهى، ويزيد الليل المقمر من جماله لمعان ضوء القمر على صفحة البحيرة، مع صوت أم كلثوم على موجة إذاعة الأغاني من الحادي عشر حتى الواحدة.

يجلس أهل برج البرلس في جماعات يلهون، يحكون، يتسامرون بحكايات الضلمة ورزق البحر الذي يفخر كل منهم به في تلك الجلسات اليومية.

وهناك في أقصى اليمين ينفرد يونس مرزوق بكرسيه وطاولته التي تضعهما له فردوس مع كوب الشاي والجوزة، مبدية عطفًا لما ترى وتعلم من صفاء قلبه، وتلعثمه حين يتحدث، وانطوائه بسبب ما يعاني من حالة نفسية ورثها عن والده.

الكل يرى عطفها عليه، وهو يراه حبًّا وإقبالًا، يعيش خيالات الحب والهوى التي لا يشعر بها إلا هو وقليل من المحيطين به، تعامله كصديق سابق ويعاملها كحبيبة قلب، تشفق عليه ويعشقها بحب عذري من طرف واحد، يحدثها حين ترحل من أمامه حديث الحب والهوى، وحين تحضر يبلع الكلام إلا من نظرة تيه لما تبديه له من إشفاق، وكرم ضيافة، ومعاملة ود ووقار مصاحبة.

وفي الجانب الآخر يركن الأسطى عبودة أبو حسين، سيارته التي أنهى بها عمل اليوم حاضرًا لسامر القوم بجوار المقهى، ما إن تراه فردوس حتي يطير قلبها فرحًا برؤيته، فهو صديق الطفولة الصدوق ابن الشوايشة الذكي البار في البلدة، الذي أجاد العمل والاجتهاد، وتغير مسار حياته، تتذكر طفولتهم على ضفاف البحيرة، هو وهي ونادية جمعة التي أصبحت

الآن زوجته، أما هي فلا يخفى عليها ما يحمله لها من عاطفة تختلط بين طفولتهما، ولحظات الشباب، ونظراته، والرجولة التي تمنعه أن يعتدي بما لا يليق بخلق الرجال بغير قدرة على الستر، هي تخبر الرجولة فيه، وتغبط نادية كونها فازت به زوجًا صالحًا محبًّا مخلصًا.

لولا نقص ذلك بعدم إنجابهما رغم سنوات الزواج، وهو ما يحزن قلبه، ويؤرق منامه مع تحرك قطار العمر للأمام.

فردوس: أهلًا وسهلًا يا أسطى.

عبودة: تسلمي يا فردوس، عامله إيه، وكيف أحوالك؟

فردوس: يعني هو إنتَ بتسأل ولا بتهتم.

عبودة: معلش مشاغل وهموم.

فردوس: ربنا يفرج همك، ويزيح كل شر من طريقك وسكتك.

عبودة: طول عمرك جدعة، وصاحبة، وقلبك كبير يا فردوس.

فردوس(بدلال): طيب، آهو كلام وبنسمعه.

عبودة: فردوس، إنتِ عارفة إنك غالية وأصيلة.

فردوس: بجد يا أسطى.

عبودة: أكيد إنتِ عارفة إني عارف قدرك وقلبك الطيب الكبير.

(فردوس تبكي)

عبودة: ليه الدمع بس يا بنت الحلال.

فردوس:افتكرت أمي و..... مش هشيلك همي، كفاية اللي عندك.

عبودة (وقد دمعت عيناه): قولي يا فردوس، أنا سامعك كويس، بجد عايز اسمعك.

صوت أغنية أم كلثوم ألف ليلة وليلة.

تحكي فردوس عن همومها، وإحساسها بالوحدة، وكم من الليالي تمر بها، تبكي لسوء نظرة بعض الرجال، تشكو الوحدة، وهو يسمع بقلبه الذي أزاحت فردوس عنه ستارًا كان الرجل يضعه لعلاقتهما، ينفتح القلبان بالكلام الموزون على نغمات الحب الذي يعرف كل منهما حدوده ومآلاته.

يفيق الطرفان على بسمة اللقاء الأول بعد اعترافات الحب المتبادل لولا أنهما يعلمان وجود حواجز المكان والزمان، أمه، وزوجته نادية، وحماه الريس جمعة وزوجته.

كم من حاجز بيننا؟!!

ينتهي اللقاء الأول على وعد بعودة ولقاء متجدد لم يكن يحدث قبل إلا قليلًا، لكنه اليوم صار عليه أن يبدأ يومه ها هنا، يحتسي كوب الشاي، ويتناول ما طاب من يد فردوس، وينهي يومه ها هنا، يطمئن عليها، وعلى أبيها، وعلى حال المقهى.

بداية لها ما بعدها.. إلى أين أنتَ ذاهب يا عبودة، سؤال النفس..هل تستطيع نادية تحمل كسرة القلب في حال الزواج من فردوس؟ هل ستوافق

أمي عليها؟ هل سيكون الريس جمعة راضيًا عن ذلك ..؟هل سيتفهم وهو الوالد بعد أبي..؟ «اللهم دبر لي أمري فإني لا أحسن التدبير، ووفقني للحلال في أمر دنياي، واجعل اللهم الدنيا في أيدينا ولا تجعلها في قلوبنا يا قوي يا عزيز يا ذا الجلال والإكرام».

دعاء لا يفطر عن ذكره كل يوم في ركعتين عاهد الله أن يصليهما فور دخول البيت، واستقبال نادية له بوجهها الصبوح البشوش.

١٠-(الطرحة الثامنة)

في حضن الهضبة

تصل رسالة إلى الحاج علي الحلواني من الضابط (أحمد منصور) الذي رافقه قبل يومين إلى حرس الحدود داخل الميناء يطلب منه المقابلة في مكتبه؛ ليعطيه رسالة استدعاء للسفينة مبروك الجديد، للاشتراك في مناورة كبرى ستنفذ خلال الخمسة أيام القادمة، ومطلوب قيام قسم المجهود الحربي الشعبي بدور في هذه المناورة، وسوف يعوض عن هذه الأيام برسالة لخفض الضرائب الخاصة بحسابات السفينة، وسلمه خطابًا بهذا المعنى موجهًا للضرائب، وطلب منه أن يرافق السفينة في رحلتها تلك أحد ضباط المخابرات الحربية، يحمل معه أجهزة للاتصال.

رحب علي الحلواني مُبديًا سعادته، ولكن هؤلاء الرجال وأرزاقهم كيف يتم تعويضها، فابتسم الضابط وقال: كل شيء يمكن تدبيره، فلا تقلق، سيتم تدبير الأمر مع الريس علاء على العمل هناك، ونقوم بنقل الأسماك إلى الإسكندرية لتبيعها.

عاد الحاج علي الحلواني ليلتقي بالريس علاء، ويخبره بأمر الندب القادم من المجهود الحربي، وتلك الرحلة المفاجأه لمبروك الجديد.

رحب الريس علاء، لكنه أبدى قلقه من عدم معرفته بطبيعة الأرض والطرحات في هذه الأماكن التي لم يعمل بها من قبل، فطمأنه الحاج علي

بأنه سيأتي له بخرائط تصف شاطئ البحر، أو ما يسمى بخرائط The sea shore ليخبر الريس علاء رجال المركب، فيرحب البعض ويعترض البعض، وكان منهم علي وهيب الذي اعترض وقال: من أين سيأتي الخبر في ذلك المكان؟

فقال له الريس علاء: سيأتي لنا تعيين من

البحرية كل يوم صباحًا، فامتعض وجهه سارحًا في صباح التي لن يلتقي بها لخمسة أيام قادمة هي مدة الندب التي أخبرهم بها الخطاب المرسل من الادارة.

وما هي إلا ساعة حتى وصل قارب حرس الحدود، يحمل ضابطًا ومعه بعض أجهزة الاتصال التي وضعها الريس علاء في البريدج بالمكان الذي خصصه لإقامة النقيب بحري المسئول عن الاستطلاع بالكتيبة المشاركة بالمناورة المشتركة النجم الساطع (أسامة الشوا) الذي ما إن وصل حتى اجتمع بالرجال، وعرفهم بأصله وعائلته التي تنتمي للصيادين، ولهم أصل بالمطرية دقهلية، ولهم سفن صيد بالسويس، فرحب به الجميع حتى أنه ارتدى ملابس صيد مثلهم، وأكل معهم طعامهم، ففهم الجميع أنهم أمام أحد أبناءهم، ثم عاد إلى مكانه، وبدأ في إخراج تلك الأجهزة التي معه، وبدأ بالاتصال بالقاعدة، وخرج إلى الريس علاء طالبًا منه الاستعداد للتحرك والخروج، محددًا له على الخريطة المرفقة معه، والتي تحدد طبيعة الساحل ومعالمه كاملة، والصخور البادية فيه بشكل جزر صغيرة، وكذلك الأعماق البحرية، وخط الساحل التي وجد فيها الريس علاء فرصة ذهبية لمعرفة الأماكن التي

يمكن فيها نشر فلايك الشنشيلا من الإسكندرية شرقًا حتى السلوم غربًا، بما يجعل عنده ميزة عن باقي المراكب التي لم تكن تتجاوز في عملها سيدي عبدالرحمن.

تخرج مبروك الجديد من الميناء، يقود دفَّتها الريس علاء منفذًا أوامر النقيب أسامة الشو الذي طلب منه اتباع خط الساحل على أن يرى اليابسة، لا يبتعد عن الشاطئ، ورسم له خط السير من الإسكندرية إلى السلوم على الخريطة التي وضعها أمامه، وكلما مرت السفينة على رأس من رؤوس الساحل أجرى الضابط اتصالًا لاسلكيًّا بنقاط المراقبة فوق تلك الرؤوس، بدءًا من رأس التين مرورًا بالمكس، ثم العلمين، والعميد، ورأس سيدي عبد الرحمن، ثم رأس الحكمة، ورأس علم الروم، فإذا جاء الليل وفشل الاتصال لأي سبب يطلب الضابط أسامة من الريس علاء أن يبعث رسالة بطلقة من طلقات الاستغاثة بديلًا عن الاتصال الذي فشل بالبر فإذا بالنقطة المستقبلة ترد على الإشارة بإشارة أخرى؛ ليسجل الضابط أسامة على خريطة أخرى معه ملاحظاته حول أسباب فشل الاتصال، ونجاح البديل اليدوي ورؤيا العين في تعويض الفشل التقني، خاصة مع اكتشاف مناطق للتشويش الهوائي، وهو ما يسمى بالحرب الالكترونية. يأتي الصباح، وتكون مبروك الجديد أمام سواحل مرسى مطروح بشاطئها الفيروزي، وروعة صفاء المياه والجزر الساحلية التي لم يكن رجال الشنشيلا قد رأوها من قبل، والدلافين البيضاء التي تختلف عن دلافين الشرق الرمادي، وكميات الأسماك الطائرة[٤٠] التي تقفز أمام السفينة طائرة في الهواء لمسافات بعيدة؛ لتظهر

٤٠ الأسماك الطائرة: نوع من الأسماك العائمة يطير بأجنحة فوق سطح الماء.

تلال الجير مزينه الشاطئ بلونها الأبيض الناصع الذي يلمع مع انعكاس الشمس؛ لتظهر بعدها سواحل سيدي براني تنتشر عليها بيوت صغيرة رائعة الجمال لعرب الصحراء الغربية من أولاد علي، يتخللها كتائب حرس الحدود، والإشارة التي تمر عليها مبروك الجديد تجر خلفها فلوكاتها؛ لتصل التحية منها، يرسلها الضابط أسامة الشوا سواء باللاسلكي أو بأنوار الإشارة البحرية؛ ليأتي الرد من نقاط المراقبة الساحلية التي تتجاوب مباشرة مع أي من الإشارتين، والرجال على مبروك يتجاوبون ويشاركون الضابط أسامة في إيصال المعلومات لإتمام المهمة، وفي نفس الوقت يتساءل الجميع: كيف سيكون طلب الرزق؟ وكيف يتم؟

ليأتي الرد من الريس علاء أنه اتفق مع النقيب أسامة على نشر فلايك الأنوار مساء اليوم بخليج السلوم قبل دخول الرصيف البحري داخل الخليج؛ لتظهر من بعيد هضبة السلوم التي تمتد من عمق الصحراء، تاركة سهلًا ساحليًّا ذا أودية خصبة أسفل منها، مرتفعة نحو السحب؛ لتنتهي بقطع الساحل المستوي، حاضنة خليج السلوم أسفل منها، مكونه ذلك المرتفع الالتوائي الذي يعلو عن سطح البحر بنحو ثلاثمائة متر، ممتدًّا من ساحل المتوسط نحو الجنوب، كأنه سور مرتفع، مكونة تلك الهضبة ذات الأبعاد المختلفة والتنوع البيئي الرائع.

تصل مبروك الجديد خليج السلوم بعد ما يقرب من العشرين ساعة سفر تجر خلفها ثلاث فلوكات للأنوار، وتحمل فوقها قارب الإنقاذ، ترسل إشارة للوصول ضوءًا باهرًا في السماء؛ ليرد عليها جندي الإشارة على رأس

الهضبة بإشارة أخرى. هنا تنتهي مهام اليوم؛ ليبدأ مبروك الجديد بنشر فلوكاته في الخليج مسترشدًا بالخرائط البحرية التي مع النقيب أسامة الشوا، إنها الخامسة والنصف، الشمس على شفا الغروب.

(ألسطا الفلايك) تدور مبروك الجديد، توزع فلايك الأنوار داخل خليج السلوم الذي تحضنه رأس هضبة السلوم العالية التي تطل على الخليج، تغيب الشمس على انكسار السحب فوق رأس الهضبة من جهة الغرب؛ لينزل الطل بعد الغروب نحو الخليج مرسلًا وجلسا، نسيمًا باردًا نحو مبروك الجديد، وفلايك الأنوار التي توهج ضوءها معلنًا تحديًا لم يكن موجودًا بالأمس بين تلك الأنوار الصادرة من البحر وأنوار البر التي تكتل بعضها أسفل حضن الهضبة، حيث مدينة السلوم الصغيرة، وأنوار السيارات الصاعدة فوق الطريق الجبلي الصاعد للوصول إلى أعلى الهضبة في طريق الحدود الليبية، ثم تلك الأنوار المتفرقة لكتائب الجيش المنتشرة فوق رأس الهضبة، تخفت أحيانًا حين تغطيها السُّحب الزاحفة من البحر، وتبهر العين أحيانًا مع انقشاع تلك السحب.

مباراة لم تحدث من قبل في هذا المكان، ليلة من ليالي خيال ألف ليلة وليلة. السيارات صاعدة وهابطة فوق طريقي الوصول لأعلى الهضبة، حيث الحدود مع ليبيا، ليل تتلألأ نجومه القريبة من الأرض كأنك على ساحل جنوب بيروت، الكل في ترقب لتلك الأرض التي لم يكن بها عمل منذ فترة طويلة حيث كانت محرمة على الصيادين نظرًا لظروف السياسة والعلاقات، أما اليوم فيعلن مبروك أولى طرحات الشنشيلا في هذا المكان؛

لتمر ساعات الليل الأولى والضابط أسامة الشوا جالسًا بأجهزته، يجري الاتصالات، ويعطي البيانات حول الموقع والإحداثيات، وحين يسأله الريس علاء يقول له: إننا الآن داخل المناورة، وأن السفن تتحرك من حولنا، وطائرات الاستطلاع تمر من فوقنا، وغدًا سيكون قرارًا آخر، قد نشارك.. لكن دورنا اليوم وغدًا هو الاستطلاع البحري، وحماية القوات المشاركة في المناورة قبل الانتقال للمرحلة الثانية.

يهز الريس علاء رأسه مُبديًا فهمًا لم يحدث لكلام الضابط الذي استأنف كلامه قائلًا: إذا قدَّر الله لكم رزقًا واسعًا اليوم يمكن ترتيب بيع الأسماك لمسؤول التعيين بالقوات بهذه المنطقة، خير من تكلفة النزول للإسكندرية، حيث تتعدى المسافة خمسمائة كيلو متر تقريبًا، غير ما قد نحتاج من الثلج، فرحب الريس علاء الذي طلب من الضابط شرح خرائط الشاطئ أو (sea shore) أو الشاطئ القريب، حيث شرح حواف البحر القريبة من اليابس عسى أن يجد بها الريس علاء أرض جديدة غير أرض الخليج تصلح لعمل طرحات الشنشيلا.

يخلد الجميع للنوم، لكن هذه المرة ناموا فوق سطح المركب، وفوق غزل الشنشيلا، مستمتعين بالنظر نحو أنوار نجوم السماء التي تكاد تلامس الأرض لشدة وضوحها، والقمر الذي مر على ولادته خمسة أيام مزينًا بوهج الشهب التي تضرب أعلى الغلاف الجوي، ناشرة بهجة الصيف أعلى الهضبة والخليج.

تمر ساعتان بعد العاشرة؛ ليغيب القمر وتدور مبروك الجديد حول

فلوكات الأنوار، تحصد ما تجمع من أسماك تحتها معلنة افتتاح أرض جديدة في أقصى غرب مصر تصلح لعمل غزل الشنشيلا، إنها كميات لا بأس بها من أسماك المغازل، والدراك، والهمبوكة، كل طرحة من الطرحات تعطي مثل التي قبلها حتى بزغ الفجر، وملئت طاولات الأسماك، وأجرى الضابط أسامة الشوا اتصالًا عبر الخط الاستراتيجي بزميل له في إدارة التعيين الخاصة بالمنطقة الغربية؛ ليوافق على شراء الأسماك من السفينة لصالح تعيين ميز الضباط؛ ليتسلم في الصباح كميات من الأسماك الطازجة، ويثني الجميع على ذلك العمل الرائع، ويعلم الكل أن الخير بيد الله يسوقه لمن يشاء حيث يشاء.

ينتهي اليوم الثاني كاليوم الأول، أسماك لا بأس بها تملأ خليج السلوم، ورزق بعيد عن باقي مراكب الشنشيلا التي لم يغبطوا لتلك الرحلة بل ظن أغلبهم أنها ضد مصلحة رجال مبروك وطاقم عمل الريس علاء لولا طمئنه الضابط أسامة الشوا، ووعد الحاج علي الحلواني أنه في حالة عدم الصيد بتلك الرحلة سوف يقوم هو بتعويضهم من نصيبه، فحسنت النوايا وكثر الرزق.

يطلب الريس علاء من الرجال أن تجهز في الصباح بعد إخراج الأسماك لأن هناك عمل خاص بمهمة المناورة حيث طلب الضابط منه ربط الفلوكات خلف المركب، والانطلاق في موازاة انكسار الهضبة ناحية الغرب بعد رأس السلوم حيث يهبط الجبل منكسرًا نحو البحر يتخلله بعض الأخوار التي تكونت بفعل التعرية المائية لمياه الأمطار، بديع المناظر مع صورة لأنواع

مختلفة من اللقالق٤٢ و البط البري، تسبح في تلك النتوءات التي كونتها السيول ونما فيها البوص، و فجأة يطلب الضابط منهم التوقف بعد الإبطاء ليتحدث في جهاز اللاسلكي مع زميل له لينزل ما يقرب من خمسين جنديا يرتدون عدة القتال، تقترب الفلوكات ينزل، بها الجنود، ترفع عليهم أغطية كل فلوكة ويخرج مبروك عائدًا بهؤلاء نحو الشرق مسافة من الإبحار، ليسلم الجنود في نقطة أخرى قبل سيدي براني، وكأنهم يحاكون عملية إنقاذ أو انسحاب أو هجوم مفاجئ، تتم العملية و يعود مبروك والريس علاء والفلوكات إلى خليج السلوم حيث شكرهم الضابط على إتمام المهمة، وجاء عبر اللاسلكي صوت القائد يشكر فيها الضابط أسامة الشوا، وطاقم المركب والريس، ويعدهم بشكر خاص من القوات المسلحة.

يطلب الريس علاء من الضابط السماح له بالعمل يومان آخران في هذا المكان، فأستأذن قائده الذي أذن له على أن يرحل في اليوم الثالث لأن المكان يعد مكانًا عسكريًّا لا يسمح فيه بالصيد إلا لمراكب بعينها لأهل المكان من العرب، وهنا تحدث الريس علاء إلى الحاج علي الحلواني عبر الخط الاستراتيجي المتاح لدى الضابط أسامة، وأخبره أن يرسل غدًا سيارات لنقل الأسماك إلى الاسكندرية، فكانا يومان من العمل و الجهد، حصدت فيه مبروك وطاقمها من خليج السلوم كميات كبيرة من الأسماك التي بيعت بالإسكندرية عبر سيارات النقل المبرد، لتجلب المال والحسد على ما وهبهم الله في رحلة لم تكن في حسبان الأقران أنها ستجلب لهم كل هذا الخير.

تعود مبروك الجديد إلى الإسكندرية بعد أن باتت ليلتان بالطريق، كانت

الأولى سفر من السلوم حتى مشارف الإسكندرية حيث ألقت شباكها لليوم الأخير في هذه الضلمة، لقد بدأ القمر يتجه للاكتمال، اليوم هو العاشر من الشهر القمري، هو لا يغيب من السماء إلا قبيل الفجر.

تأتنس الأسماك بنور القمر في هذه الأيام؛ لتحرم أنوار البحر من ميزاتها، فلا أسماك تجتمع تحت أنوارها إلا القليل، حان وقت الرحيل والعودة إلى الديار حيث الأحباب والأصحاب.

مرت عشرون يومًا بعمل لم يفطر وشقاء، حان موعد راحته المؤقتة، الكل في نشاط وحركة، تخرج أسماك اليوم الأخير؛ لتباع، يغسل الرجال السفينة، ترفع الفلوكات عليها، تخزن معدات العمل، تغلق منافذ المركب، تخرج الشنط، تجهز الهدايا للأهل، يستعد الجميع للعودة، يودعون الإسكندرية وداعًا مؤقتًا، نهاية شقاء واستشراف راحة.

١١-نهايات خير وبدايات حب

*الاسكندرية (بحري) أغسطس ٩٣

تنتهي أيام الضلمة، يأتي الريس علاء بالأظرف وقد كتب اسم كل رجل على الظرف الخاص به، كانت ضلمة موفقة ورزق وفير، حصة الرجل عشرة آلاف جنيه، وأصحاب المهام الخاصة يزيدون ربع حصة أو نصف حسب عمل ومهمة كل منهم، رجل المطبخ نصف حصة زيادة له، ورجال الفلوكات ربع حصة زيادة على نصيب الرجل.

الريس علاء ينادي على أخاه علي وهيب؛ ليسلمه ظرفه الخاص به، اثنى عشر ألفًا وخمسمئة جنيه.

علي وهيب: تسلم يا ريس علاء.

الريس علاء: سمعت إنك ناوي تقضي الأجازة دي في الإسكندرية.

علي وهيب: أيوه مع أحمد ومحمود علي سلامة.

الريس علاء: فين؟

علي وهيب: معاهم في شقة الحاج علي الحلواني، هم استأذنوا الحاج علي ووافق.

الريس علاء: طيب وأمك اللي مستنياك؟

علي وهيب: هبقى اتصل بيها كل يوم، نفسي أصيف زي الناس، وأعيش

يومين، عمري ما دخلت سينما، ولا مشيت في الإسكندرية، ولا رُحت زي الشباب اللي بيتفسحوا من غير ما يكون وراهم هم ولا شغل.

الريس علاء: ربنا يوفقك ويفرح قلبك، طيب فلوسك هتبعتها معايا لأمك؟

علي وهيب: لا أنا يومين كدا وهاجي على البلد.

الريس علاء موجهًا حديثه للولدين: خلوا بالكم من أخوكم علي، أنا عارف إنه معاكم هيبقى بخير.

تأتي سيارتان ميكروباص، يحمل الرجال أمتعتهم، ويركبون فرحين بالرزق، ومحملين بالهدايا ولعب الأطفال، وبعض صفائح السردين المملح، إنها هدايا العودة التي ينتظرها أهل برج البرلس وأطفالهم كلما عادت السيارات بالآباء والإخوة كل شهر عربي باليوم العاشر أو الحادي عشر من ولادة القمر.

في بيت أم صباح

ما إن ودَّع علي وهيب والتوأم السيارات أمام مسجد الميناء حتى استأذن علي وهيب من رفيقيه مبتسمًا مدعيًا أن أحد أقارب أمه ينتظره اليوم على الغداء، وأنه سيلحق بهما في مسكنهما متى انتهى من زيارة ذلك القريب.

عبر الشارع ليغوص في شوارع السيالة وميدان المساجد متحيرًا فيما يفعل، وكيف يلبي تلك الدعوة بالزيارة من أم صباح التي أرسلت له بالأمس مع ابنتها كي يتناول معهم الغداء بعد سفر الرجال إلى بلدتهم؟ على أن يحاول البقاء بالإسكندرية كفرصة لزيادة التعارف والود بينه وبين خطيبته

المستقبلية وأهلها، لذا قرر الشاب الغر أن يذهب إلى سوق الميدان القريب من المكان، ويشتري زيارة تناسب مقام الرجال، وتبضع الفتى ما يشتهي من الفواكه، وجلب بعض الكيلوات من اللحم الطازج، وبدا لنفسه يرتدي ثوب الرجولة الكاملة بتلك الزيارة المشرفة التي حملها، وعاد أدراجه لمنزل صباح وأمها التي هشت وبشت بوجه الفتى حين رأت ما حمل، ووضع ما يحمله على منضدة بمدخل الغرفة، لتتجه أم صباح وقد جحظت عيناها لما رأت من كرم الفتى، وعلمت أنه قد تحصل على ذلك المبلغ الكبير من المال، فمالت على الفتاة تحثها على الترحيب بالفتى، والقيام نحوه بواجب الضيافة ونحو ذلك مما يحبه الفتيان من ترحيب الفتيات بهم، وخرجت هي بالزيارة تضعها بالثلاجة في الغرفة المجاورة التي أخذتها بعد ترك أهلها لها،ووسعت على نفسها بها.

كل ذلك وسط نظرات نساء المنزل وفتياته والهمز واللمز،

ومصمصة الشفاه ولولا انشغالها بالضيف لكانت لها معهم تصريف آخر، وهن الخابرات بحالها، الآن القارئات لما يدور بفكرها وفكر صباح، يحسدنها على ذلك الفتى، ويغرن لكونها تتأهب لصيد فتى مثله لستر صباح والزواج بها.

تنظر إليهم أم صباح نظرات الشذر والعتاب، ولا يخلو ذلك من حركات الإغاظة والكيد لهن.

تدخل أم صباح وقد أعدت وليمة اليوم لعلي وهيب بعد أن أعلنت للجميع أن عريس صباح معزوم عندنا اليوم.

دجاجتان، وأرز، وخضار، وترحيب، شرائط الكاسيت يعلو صوتها المرتفع بالأغاني (لولاكي) (الحلوة خوخة) وبنات الحضير ونساؤه لا يُخفين الغيرة والحسد، ولكن يترجم ذلك بين حين وحين على صوت زغرودة ليس لها محل من الإعراب الآن، أو ضحكة رنانة بلا نكات تقال، أو عراك بين أم وابنتها تلومها أنها لم تستطع أن تتصيد مثل هذا القابع بالأسفل عند أم صباح.

وعلي وهيب في دنيا الولهان، لا ينفك ينظر لصباح وهي تأكل وتذهب وتجيء بتلك الملابس الخفيفة التي تشف أكثر مما تستر، وأم صباح تنظر إليها كأنها معلمة تريد أن تنهي موقفًا تعليميًّا؛ لتعطي النتيجة، أو ترفع واقع حال الفتى الذي غاص حتى ذقنه في تلك العلاقة، فلا فكاك بعد تلك الزيارة العلنية من إعلان الارتباط بصباح التي قدمت له ما لم تقدمه له فتاة من قبل.

صباح تتجهز للخروج مع علي وهيب، وأم صباح ترتدي ثيابها لتصحبهم، فهما لم يصبحا حلالًا لبعضهما بعد، وتتحجج أم صباح بكلام الناس، وهو يريد أن يمشي معها بشوارع الإسكندرية الساهرة التي كان يراها من البحر، يتمنى لو كان مكان هؤلاء السائرين على الطريق يطأبطون بعضهم بعضًا بِوَلَهٍ وهُيام، يخرج الفتى مع صباح وأمها، يتجهون لميدان محطة الرمل حيث زيارة السينما والعشاء بالخارج كما خطط هو وصباح، ونساء وفتيات الحضير ترقبن المشهد في غيظ مكبوت وحسد، ومن خلف ذلك ضحكات لا تخلو من المياعة وقلة الذوق والرعونة، أما صباح فتكتفي أن تشير لهم إشارة خبث وقلة تقدير، هي وأمها سويًّا من خلف أظهرهما بإصبعهما الوسطى، إشارة غيظ وسب، وهن يستقبلن ذلك برد لا يفهمه إلا الطرفان بكلمات بذيئة.

تلك هي البيئة والورطة التي وقع فيها علي وهيب!... ليلة من ليالي الأنس والسهر عاشها علي وهيب من وجهة نظره.. سينما، كافيه محترم مع تناول الهاي تي، مطعمًا فاخرًا حيث العشاء العائلي داخل قاعة المطعم الكلاسيك، خيال ما بعده خيال يعيشه ذلك الفتى البسيط الذي لم يخرج يومًا من عباءة الصياد، ورائحة السمك، وشباك الشنشيلا، المال لا يساوي عنده الآن مقدار السعادة التي يشعر بها، والخبرة التي يسمع عنها من الراحلين السابقين من شباب البلدة الذين توطنوا الحضر، أو الذين هاجروا وأخذوا جنسيات أوروبية، أحلام الحكايات تحولها له صباح لواقع يحياهُ في ليلة سكندرية، يرى أنوار المدينة الصارخة من داخلها بعد أن كان يعيشها أحلام وخيالات بالبحر حين يركب فلوكة أنواره، وهو يحيا لحظات سعادته تلك تقف به فجأة أم صباح أمام شارع الصاغة بمدخلها من شارع فرنسا، تنظر صباح إلى أمها نظرة شذر وعتاب، أما الأم فتوجه كلامها نحو علي وهيب.

أم صباح: بص يا ابني، دخول البيوت مش ساهل، وانتَ كل الناس شايفاك داخل وخارج، لازم يكون في حاجة رسمي عشان كلام الناس.

علي وهيب: كلامك تمام يا أم صباح، تؤمريني.

وما هي إلا دقائق وكانت صباح ترتدي خاتمًا ذهبيًّا يزن خمسة عشر جرامًا ذهبيًّا عيار ٢١ ثمنه ألف وخمسمئة جنيه.

ترن زغروطة بمحل الجواهرجي؛ لتعلن أم صباح عن قراءة علي وهيب فاتحة صباح ابنتها بصورة رسمية.

يسير علي وهيب وقد أمسك بيد صباح التي خطا أولى خطوات الارتباط

بها بعيدًا عن الأهل والأصحاب، في لحظة من الخطف الإنساني تتكرر لكل من لا يستشير، ولكل من لا يحترم الأصول، فيصبح شاردًا بلا بوصلة، تائهًا بلا دليل مرشد.

تقع عيني الفتيان أحمد ومحمود علي سلامة اللذان كانا ينتظران علي وهيب بنافذة الشقة المطلة على الشارع وهو يمسك بيد صباح التي يعرفانها منذ ليلة المولد، وقد حكى الفتى لهما عنها، لولا أنهما صُعِقا حين رأياه وأمها، ولم يُعدما ملاحظة الخاتم اللامع بيد الفتاة، فربطا ذلك بحصته التي رفض إرسالها للبلدة مع أخيه، وترجم حسهما ما وقع فيه الفتى الغر من فخ صباح وأمها.

يسير علي وهيب إلى الفتيان، وبدأ اللوم والشجار بمجرد دخول علي وهيب، حيث لاماه على ما أنفق من مال، أربعة آلاف في يوم واحد.

الفتيان: ليه كده يا علي؟ حرام تضيع الشقى من غير فايدة.

علي: أنا هخطبها وهتجوزها.

يصمت الفتيان لما رأوا من حالة تصميم، وعناد، وعدم استيعاب للموقف، كما أنهما لم يريدا أن يعلو الصوت في بيت الحاج علي الذي يحترمان هدوءه ورصانة أهله، كما أن على فاجأهما بما اقترحت عليه أم صباح من أن يؤجر الغرفة المجاورة لها بالبيت الذي يقيمان فيه، والشابان في حالة من الذهول لذلك التحول الذي طرأ على الفتى تلك الليلة، وقررا أن يخبرا الريس علاء كونه أمنهما عليه قبل عودته للبلده.

وفي الصباح أخذ علي وهيب حقيبة ملابسه وذهب حيث تقيم صباح وأمها بعد تجهيزهما الغرفة المجاورة، وكانت خالية إلا من ثلاجة، ووضعت بها سرير لعلي الذي رحب بذلك، واتفق على أجرة شهرية للغرفة، على أن يكون طعامه وشرابه مع صباح وأمها اللتان أعلنتا للجميع خطوبة علي من صباح، وقام الجيران بعمل اللازم نحو إقامة الحفل باليوم التالي لشراء الخاتم؛ ليدخل الفتى فخ أم صباح، ويغوص في بحر لا يعلم عمقه دون معين له على اندفاعات شهوته، وسكره، حبه الكاذب، وخداع البدايات السيئة بعيدًا عن الأهل والأصحاب (إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية).

ليلة على مقهى عم صبحي

يصل الرجال البلدة، الكل في بهجة العودة وفرح اللقاء بعد شقاء وغربة عشرون يومًا بعيدًا عن الزوجات والأولاد، الكل في فرح العودة وفرح الرزق الذي أنعم الله عليهم به في تلك الضلمة، نسيم البحر يضرب أسطح المنازل وشرفاتها، والأطفال يتبارون في إبراز ما حصل عليه كل منهم من والده من مال أو هدية جاءه بها من الإسكندرية، النساء في أبهى حلل الاستقبال، وأشهى الطعام قد جُهِّزَ، وفُرشت الأسرَّة بملاءات جديدة.

يوم عرس وسعادة ولقاء بشوق، تمر الليلة الأولى للعودة بلا حراك، الكل ساكن إلى جوار اهله يطمئن على الحال، ويشبع من لقاء طال انتظاره، ومن حلال منع منه عشرين يومًا متصلة، إنه الشوق البادي بالشوارع الهادئة، والمقهى الذي يكاد يخلو إلا من شباب يافع لم يتزوج بعد، أو عجوز أصابته كآبة الوحدة، فخرج إلى جوار البحيرة حيث مقهى صبحي السبيعي،

وفردوس منشغلة بتجهيز المقهى حيث تعلم أن غدًا والقادم بعده حتى عودة الرجال إلى البحر، هي أيام عمل وجهد لها ولأبيها.

يحضر عبودة أبو حسين بعد ركن سيارته، فتهرع إليه فردوس تجهز له مجلسه بداخل العريش بالقرب من مركز عملها حتى يكون قريبًا منها، تنظر إليه نظرة لا تخفي على أحد من أهل البلدة، فلم يعد الأمر سرًّا بعد أن قرر الأسطى عبودة أن يمرر خطته بالزواج منها، لذا طلب من عم صبحي أن يدخله شريكًا في المقهى بعد أن أصرت فردوس لأبيها بذلك، ولم يكن للرجل من حيلة أمام سعادة وراحة بال ابنته فردوس لما رأى من حبها للأسطى عبودة، فلم يكن ليقف في طريقها وهو الرجل السبعيني الذي يريد الاطمئنان على وحيدته.

بدأ عبودة في ضخ المال بالمقهى، كراسي جديدة، أنوار وكهارب، كل شيء جديد بمال الأسطى عبودة؛ ليعلن للجميع أنه أصبح شريكًا لعم صبحي وابنته فردوس، فلا بأس من أن يكون صباحًا ومساءً بينهم، فالشريك رفيق.

تمر الليلة الأولى من عودة الرجال؛ لتأتي الليلة التالية، الساعة التاسعة والنصف مساءً، خرج الرجال من صلاة العشاء إلى المقهى جماعات وأفراد؛ ليمتلئ المقهى عن آخره، ويقف عبودة؛ ليساعد فردوس وأبوها، فيما ينظر الجميع في تساؤل وحيرة هل هو..؟! أم هو وهي..؟! نميمة وحوارات لم يقبل بها الكبار الصالحون.

صوت أحدهم ينادي عم متولي كي يصدح لهم بما يطيب من غناء أو موال؛ ليأخذ أحدهم دور المقدم بالبرامج؛ ليقدم عم متولي بصوته العذب في

الغناء بموال صياد السمك.

أنا صياد السمك، ومن صيد السمك كليت، اتهد حيلي من شيل الطرح ورميت، موانى ياما رحت أنا فيها وسعيت، من بورسعيد للسويس وكمان اسكندرية جيت، دمياط وفيها المشبك وفي العريش حبيت، لكن النهاية مش زي اللي أنا رجيت.

ثم يغني بعدها؛ ليرد الجمع داخل المقهى:

يا صيادين ردوا ورايا،	ايوة
هتكونوا في الشدة معايا،	ايوة
البحر يهدينا بخيره،	ايوة
من غير ما نؤذي في يوم طيره،	ايوة
ولو الهوا شد علينا،	ايوة
نعود لحضن أهالينا،	ايوة
جاني الحبيب جبلي هدية،	ايوة
بفتح لقيتها بلطية،	ايوة
قالتلي ده حبيبك غالي،	ايوة
بحر الهوى كان موجه عالي،	ايوة
لكن أنا بحار في البحر وأعرف أقدر الغالي،	ايوة

يا حبيب ملكت العين والقلب، ايوة

ربي يزيح ما بينا الكرب، ايوة

كل الليالي بقربك حب، إنتَ الشراع وأنا الصاري. ايوة

تمر الليلة تلو الأخرى بأيام القمر حيث إجازة الرجال، ولا يخلو اليوم من بعض العمل بالبحيرة على مراكبهم فيها أو السنابك الصغيرة بالأخنان[٤١] لكنه ليس بالعمل الشاق مقارنة بعمل البحر.

عمل من الفجر حتى الظهر، ثم يقيل الرجال ويعودون للاجتماع في سامرهم بقهوة صبحي السبيعي، نفس الموضوعات، السمك والبحر والإسكندرية، ما جد بالبلدة من أحداث وفي أقصى اليمين ما زال يونس مرزوق في خيالات حبه لفردوس، وأمنياته الحالمة بالزواج منها، لولا أنه رأى ما رآه غيره من أهل البلد، وهو غير مدرك لحقائق الأمور، وفردوس تعطف عليه عطفها السابق، إلى أن يطلب منها الأسطى عبودة عدم التعامل مع يونس، تدفعه إلى ذلك غيرة الرجال، وعلمه بما عليه يونس من حالة تتطور إلى ما لا يحمد عقباه.

في بيت سعد مبروك

يدخل سعد مبروك بيته، تسرع فاطمة الطيبة إليه مستبشرة بقدومه فَرِحة برؤياه، مشتاقة للسند في مهامها وهمها الذي حملته صغيرة، فالبيت ومهامه عليها، والاعتناء بسارة ومحمود ودراستهما إلى جانب العناية بأمها

٤١ الأخنان: المناطق الضيقة بالبحيرة حيث تضع الأسماك البيض.

المريضة التي بدأ المرض يأخذ من وضائتها وقد تغير لون الجلد، وبرزت عظام وجنتيها، وزاد الطبيب لها من جرعة الدواء الذي لم يعد يجدي نفعًا مع شدة الآلام التي تهجم عليها، زادت آثار التهاب الفم والمريء، فلم تعد تستطيع الأكل إلا من بعض السوائل والطعام الخاص المجهز لمثل حالتها، فرحة اللقاء لا تخلو من مرارة وصف الحال، فالصغيرة تعلم حاجة البيت للسعادة كالتي دخلت بيوت الأهل والجيران بعودة الرجال لولا حال الأم وهم المرض.

يدخل سعد مبروك على ست البنات فى سرير مرضها، تنظر إليه باكية، يمسح دموع عينيها ويقبل رأسها، لا تستطيع الكلام الكثير، فالمرض أوهنها.

ست البنات: معلش يا سعد، أنا عارفة إني مقصرة معاك، حقك عليَّا، بس أنا طلبت منك تتجوز.

سعد مبروك: إنتِ بتقولي إيه يا أم فاطمة!! ربنا يشفيكِ وتقومي بالسلامة، ونرجع أحسن من الأول، الأيام والعمر ليكِ، تجوزي فاطمة، وتفرحي بسارة ومحمود.

ست البنات: ربنا يخليك ليا ويحميك.

سعد مقبلًا عليها، ضامًا لها فى حضنه، ضاحكًا لها، مُسرًا في أذنها: هقولك حاجة هتفرح قلبك.

ست البنات: نفسي يا سعد قلبي يقدر يفرح.

سعد مبروك: الواد رجب علي طلب مني إيد فاطمة، وطلبت منه يفاتح

أمه، وفلوس الضلمة دي ورزقها قالي إنه هيجيب بيها الشبكة وييجي هو وأمه علشان يطلب البنت مننا.

ست البنات: ولد ابن حلال، شقيان وراجل، وأمه ست بمائة راجل، جوزت البنات صابرين وزينب، ومفاضلش غيره، قعدت عليهم لحد لما كبروا، ورفضت الجواز بعد جوزها.

(فاطمة تطرق الباب محضرة الطعام لأمها).

سعد مبروك: أدخلي يا فاطمة.

(سعد موجهًا كلامه لفاطمة مبتسمًا): اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد، عروسة يا ناس أحلى البنات، إيه يا بنت يا فاطمة الجمال ده، العرسان هيتجننوا عليكِ يا بنت.

فاطمة (في خجل): ربنا يسعد قلبك يا عم سعد، العروسة النهاردة هي ست البنات، شوف لما شافتك خدها نور إزاي.

ست البنات: شوف البكاشة بتغير الموضوع.

سعد مبروك: أقعدي يا فاطمة، فى عريس جايلك وعاوز رأيك فيه، إنتِ عارفة إني مقدرش أقرر حاجة زي دي من غير رأيك، لازم ناخد رأيك، ودي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

في منزل العريس

يعود رجب علي إلى أمه بما رزقه الله من مال بهذه الضلمة، وقد انفرجت

أسارير الشاب فرحًا بذلك الرزق، وبدت أحلام الشاب واقعًا، فلم يعد المال عائقًا اليوم نحو حلمه بفاطمة، اثنى عشر ونصف ألف جنيه تكفي لأن تكون شبكة للعروس، و بداية لمشوار الزواج الذي تأجل الحديث عنه لحين زواج أختيه، وسداد ديون زواجهما، واليوم لا دين ولا هم إلا زواجه هو، خاصة وأن البيت قد أصبح خاليًا على الست

صفية التى أفنت سنين عمرها عليه وعلى أختيه، ترعى وتسترزق فى نسج الشباك للعاملين بالبحيرة هي وبناتها قبل أن يصبح الفتى قادرًا على نزول البحر وكسب العيش.

يفاتح أمه بالأمر، وأن ما أتى من مال هذه الضلمة سيكون ثمنًا للشبكة التي ستقدم لفاطمة بنت الريس سعد مبروك، تبتسم الأم في حنو وسعادة، ولا يخفى على وجهها بعض اللوم والعتاب لكونه فاتح الريس سعد قبل أن يشاورها، فشرح لها الفتى سبب ذلك، وحكى لها ما كان مع ابني الريس علي سلامة، وما ظهر على وجه عم سعد من حزن بذهابهما إلى حضن الحاج علي الحلواني، فقالت له الأم: هو مش هيلاقى أحسن منك لفاطمة، بكرة بإذن الله نروح نفاتح سعد مبروك وست البنات في الموضوع، وربنا يفرحنا بيكم، وتملولنا البيت عيال، ده يوم المُنى يا ابني وفاطمة بنت حلال، طيبة وجميلة وست بيت، تعرف تحفظ الراجل وترعى العيال، وبصراحة من يوم ما فاتحتني في الموضوع وأنا متابعاها، وكل أسبوع أزورهم بحجة زيارة ست البنات، والبنت كانت أحلى حاجة في البيت.

البيت زي الفل، وسارة ومحمود زي الفل في النظافة والشطارة برعايتها

لهم، تعرف حق الضيف، وعندها حياء وخشى، وربنا يجعلها من نصيبك يا أحلى عريس فى الدنيا.

ليلة عم متولي

(أفراح البرلس)

في موقف كفر الشيخ يقف الأسطى عبودة أبو حسين ينادي على سيارته (البرلس-بلطيم)، يأتي إليه أحد الشباب، يمسك بيده كاميرا وبعض الأدوات، يحمل شنطة هاندباج على كتفه: لو سمحت يا أسطى، عاوزك في طلب يومين، وعاوز فندق كويس ننزل فيه احنا وكاست العمل بتاعنا في البرلس.

الأسطى عبودة: لكن البرلس مفيهاش فنادق (يفكر قليلًا).. بس ممكن أوفر لك مكان كويس للبيات.

يحمل الأسطى فريق العمل ذلك المكون من مخرج شهير يعمل أستاذًا في معهد السينما، ومعه مجموعة من الطلبة، يقومون بتصوير مشروع تخرجهم، فيلم تسجيلي عن بحيرة البرلس.

يأخذهم الأسطى عبودة إلى مقهى عم صبحي الذي أصبح شريكًا فيه، ويقوم بالاتفاق مع فردوس على استضافتهم بعد الاتفاق معهم على مقابل هذه الخدمات من الاستضافة بالغرفتين الملحقتين بالمقهى على ضفاف البحيرة، ووجبات الإفطار والغداء؛ ليكون ذلك الفوج أول فكرة لتحويل المكان لكافيتيريا وفندق، ربما لم يكن على مستوى عالي إلا أنهما لهؤلاء الطلبة ولمشروعهم أروع الأماكن المناسبة، حيث نصب هؤلاء أدواتهم فوق

سطح الغرفتين، متخذين منه مركزًا لتصوير الشروق والغروب، وخروج المراكب الشراعية المميزة لذلك المكان وعودتها، وظهور القمر، ولمعان ضوءه على صفحة المياه ليلًا.

سبحان الله المبدع، وسبحانه علم الإنسان نقل صورة هذا الإبداع والجمال الإلهي، يجلس الضيوف على مقاعدهم بالمقهى في أمسية قمرية، يشرعون في تسجيل المشهد دون علم أحد بما يفعلون، فتكنولوجيا التصوير لم تعد في حاجة إلى جلبة حولها، وصغر حجم الآلات ساعدهم، كون تفاعل الجميع معهم بتلقائية ودون تكلف، حيث لم يكن أحد يعلم بهدفهم إلا الأسطى عبودة أبو حسين وفردوس اللذان آثرا السكوت وعدم الكلام مضاراة على شمعة الرزق، فكان كأنهما على نفس الفكر الاقتصادي، وعلى نفس الطريق نحو حب التملك، وتشغيل المكان دون جلبة أو إثارة نوازع الحسد والحقد في النفوس المريضة.

تبدأ الليلة، ويأتي الناس كل في مجلسه مع فريقه الذي يحبه، ثم يأتي عم متولي وفرقته البسيطة (أفراح البرلس) طبلة بلدي ومزمار ودرامز هي كل أدوات الفرقة التي تتكون من هواة صيادين لم يدرس أحدهم يومًا موسيقى ولا كتب نوتة، ولكنه الحس والإحساس بالمعاني والكلمات؛ ليغني عم متولي بصوته العذب لأم كلثوم وعبد المطلب ومحمد فوزي، ثم بدأ في أداء يخصه من كلمات شعراء مجهولون ببلدته؛ ليغني:

يا حبيبي، أنا حبي ليك غير حالي******معرفش إيه اللي جرالي، قلبي ليك يشتاق على طول******أنا حبي ليك بقى عرض وطول.

كل الليالي سهران أناجيك******قلبي وعقلي يفكر فيك، أنا حبي ليك غير حالي******معرفش إيه اللي جرالي، مستني لحظة لقى منك******مش قادر أنا أبعد عنك قلبي يدق لفراقك******نفسي تميل كدا على بابك

في خيالي إنتَ مبتسيبنيش******بخاف عليك لتروح متجيش، أنا حبي ليك غير حالي******معرفش إيه اللي جرالي، كل الناس عندي حبايب******إلا العزول ملهوش نايب حبيبي إنتَ إنتَ وبس******بقول بحبك للي يحس،

قرب يا رب كدا لقانا******خلي الفرح كدا حدانا، أنا حبي ليك غير حالي******معرفش إيه اللي جرالي...

ما إن بدأ عم متولي الغناء حتى جذب صوته الرخيم أذن المخرج يسري عامر، ووجه بدوره تلامذته نحو تصوير هذه الأمسية لعم متولي، وما أن انتهى من الغناء حتى آتاه يسري عامر؛ ليعرفه بنفسه كصاحب شركة للإنتاج الفني، عارضًا عليه مشروع العمر في أن يسجل له ألبومًا، ويوقع معه عقدًا يقوم بموجبه عم متولي بالغناء مقابل مبلغ من المال، ولم يكن عم متولي صاحب دراية بما يطلب منه، فطلب من يسري عامر أن يمهله يومين للتفكير والمشورة.

وعندما أتى اليوم التالي إذا بالمنادي بعد صلاة الظهر الأسطى عبودة أبو حسين يأتي لبيت عم متولي، يصحبه إلى قهوة صبحي، ويفاجأ عم متولي بصوته، وتسجيل الأمس قد تمت منتجته، وتم إنزال التسجيل على شريط

فيديو؛ ليعرضه الأسطى عبودة داخل المقهى، وقد التف الجميع حول التلفاز والفيديو اللذان أتى بهما عبودة للمقهى، وكان أول ما عرض عليه هو حفلة لمطرب البلدة الريس متولي أبو شوشة(الصياد المغرد/ مطرب البحر) كما أطلق عليه

المخرج يسري عامر الذي استطاع أن يفوز بموافقة عم متولي الذي قرر أن يغير المسار وهو في سن الخامسة والأربعين من صياد للسمك إلى مطرب البحر، وصاحب فرقة أفراح البرلس؛ ليعود فريق العمل هذا ومعهم المخرج يسري عامر الذي أصر أن يصحب عم متولي معه للقاهرة بعد أن سجل له بعض الأغاني الشعبية، وأدخله كنموذج للفلكلور الشعبي لصيادي الوجه البحري في فيلمه التسجيلي (أفراح البرلس-على ضفاف البحيرة).

يونس مرزوق

يجلس يونس مرزوق كل يوم تلك الجلسة يمين عريش صبحي السبيعي، ينتظر أن تأتيه فردوس بطلبه المعتاد، الجوزة وبراد الشاي المخصوص وكوبه المخصوص، كما كانت تقول له فردوس، إلى أن جد ظهور شريكهم الأسطى عبودة أبو حسين، هنا بدأ يونس يشعر بتجنب فردوس له، فلم تعد هي التي تستقبل الريس يونس، ولا تضع له طلباته، إذا حضر الأسطى عبودة كان هو، وإن لم يكن هو فعم صبحي السبيعي.

أين فردوس إذًا؟ ولماذا لم تعد تأتي وتتحدث إليَّ كما السابق؟ يمكن بتتقل عليَّا علشان مكلمتش عم صبحي وخطبتها منه؟ أو يمكن زعلانة علشان مجبتش ليها هدية من إسكندرية بعد ما سمعت بالرزق الكتير الضلمة دي؟...

تعمل إيه يا يونس؟! أكيد حبها ليا مخليها خايفة من كلام الناس لما بتيجي بالطلبات ليا، لازم أخلص الموضوع، هروح ليها دلوقتي والناس عمالة تسمع لعم متولي وأكلمها هي وأبوها، والفلوس موجودة والحمد لله، وفرصة الناس كلها موجودة تعملك ليلة حلوة.

يعتدل يونس تاركًا جلسته المنفردة، يقوم بهندمة الشال والطاقية على رأسه، يفرد ظهره كفارس منتصر، يتجه إلى عريش عم صبحي، الكل يعطي العريش ظهره متجهًا إلى حيث ينشد عم متولي (فات المعاد) لأم كلثوم.

العريش خالي إلا من فردوس التي جلست أمام الأسطى عبودة أبو حسين، يمسك قلمًا، يكتب في دفتر اليومية، وفردوس تمسك بيدها فوق يده بنفس القلم، كأنها تعدل له، لكن يدها تقول كلامًا آخر تترجمه نظرة عينها في عيني عبودة، وهو يرقب باب العريش؛ ليدخل يونس الذي ما أن شاهد المشهد الذي عمد الأسطى عبودة على استمراره في غفلة من فردوس السارحة في دنيا عيون الأسطى عبودة حتى تصل رسالته ليونس، إنه رجل المكان، وأن فردوس له وهو لها، وأنك يا يونس تعيش الخيال والأحلام.

كأنه مشهد نهاية حلم الحب ليونس الذي انكفأ داخل نفسه، وعاد أدراجه متجهًا إلى بيته، مصابًا بما يشبه الحمى، ترتفع درجة حرارته كلما عاد المشهد أمامه، ينام من ليلته في كابوس اسمه الأسطى عبودة وفردوس، يهزي بالليل، يرتجف، تأتي أخته (السيدة مرزوقة) التي تعيش معه هي وزوجها وأطفالهما على صوته، تستعيد ذكرى والدها الذي كانت تأتيه مثل تلك الأعراض ومات على إثر إحداها، وكان مرضًا شديدًا على الأسرة كلها.

يخرج يونس عن الخدمة لمدة يومان لم يقم من مكانه، ولم يتخل عن الهذيان، فشلت كل محاولات إفاقته، إلى أن تم استدعاء الطبيب ابن البلدة (د/ محسن أبو شوشه) الذي قال إنه تعرض لصدمة نفسية كبيرة، ويجب عرضه على طبيب نفسي بعد أن أعطاه حقنة مهدئة أفاق على إثرها، ولكن لم يكن فيه من يونس السابق غير جسده القوي البنية، أما كلامه فقل، حتى ينتهي مفعول المهدئ، فيعود الهذيان مع الانفعال، وحالة الهياج التى لم يكن أحد يقدر عليه في البيت، لولا حضور رجال العائلة الذين لا يجدون في النهاية إلا أن يستمروا معه بالمهدئات، حتى عرضه على الطبيب النفسي بكفرالشيخ.

أسبوعان من الحمى والهياج والحقن المهدئة إلى أن جاء موعد الطبيب الذي قرر خطورة الحالة، وأنه في حاجة إلى الحجز والمتابعة بإحدى المصحات الحكومية للطب النفسى بالإسكندرية أو القاهرة حتى لا تتطور حالته إلى ما لا يحمد عقباه، ويسافر يونس برفقة أخته وزوجها، لإيداع يونس في مصحة الطب النفسي بالمعمورة بالإسكندرية لحين الشفاء.

يجلس يونس وقد جحظت عيناه على حرف السرير بالمصحة بعد أن صار المهدئ النفسي ملازمًا له كل صباح، ينظر إلى الأفق من نافذة المستشفى، يعيش معاني وخيالات النفس، ولا يعلم ما في فكره ووجدانه إلا الله اللطيف بعباده مقسم الأرزاق مقلب الحب والكره في قلوب العباد.

لم يكن ما حدث ليونس ليمر دونما نميمة وحكايات، فما كان من الريس جمعة أبو شوشة الذي يعده عبودة أباه الثاني إلا أن أجلس عبودة وفردوس وعم صبحي السبيعي؛ ليقرأ الحدث من أهله، ويقطع الشك باليقين بعد أن بدأ

أهل السوق في حديث لا يليق بعبودة وفردوس، وانتهى اللقاء على أن الرجل العاقل الريس جمعة الذي رأى حق فردوس في السعادة مع من تحب، وحق عبودة في الزواج بأخرى؛ لتنجب له الولد، وطلب منهما الرفق حين إبلاغ ابنته نادية.

لم يترك الريس جمعة الأمر في ذلك لأحد، وأسرع وتلطف إلى ابنته، حتى دخل إليها مدخل الود، وطلب من عبودة أن يحضر فردس ويأتي إلى البيت؛ ليسكت الألسنة، ويخرس كل من أراد الطعن في عائلته؛ لتنضم فردوس إلى العائلة، وتنتقل للعيش مع نادية وعبودة وأمه في بيته، وتترك المقهى لزوجها الأسطى عبودة وأبيها صبحي السبيعي.

لم يكن الأمر بالسهل اليسير، لكن كل الأمور مع الحب تسير.

فاطمة*رجب سعد مبروك*الست صفية

ما لبثت ست البنات أن حضرت تلك الجلسة الطيبة التي جاء فيها رجب علي، وأمه الست صفية، وأختاه صابرين وزينب إلى بيت الريس سعد مبروك، يحملون شبكة فاطمة وهدايا الخطبة، حتى سعد الجميع، وفرح بتلك الخطبة المباركة، إلا أن المرض اشتد بست البنات التي أرسلت في طلب الست صفية صديقة

الطفولة والشباب، وأوصتها بفاطمة وبأولادها، وفاضت الروح إلى بارئها؛ ليحزن الجميع على فراقها، ويبقى سعد مبروك، وفاطمة، ومحمود، وسارة، فى حزن فراق الأم لولا وجود الست صفية، تهون عليهم الأيام، وتزيل هم الفراق يومًا بعد يوم، ورجب الذى أبدى رجولة الشباب الصالح

بوقفته جوار فاطمة ومواساتها فى مصابها.

حتى مر أربعون يومًا على وفاة ست البنات، وعلى مقهى صبحي السبيعي يجلس كل من الريس جمعة أبو شوشة، والريس علاء وهيب، ومعهم سعد مبروك، وإذا بهما يقترحان على سعد الزواج من الست صفية؛ لترعى الأبناء وتعفه ويعفها، وخاصة أنها صارت حماة ابنته فاطمة، وتكفلا بإقناعها بذلك، في نفس الوقت كانت زوجة الريس جمعة الست أم نادية تجلس إلى جوار الست صفية تقنعها بمقترح الرجال، وهو ما لم يلقَ رفضًا عندها، وإذا بالجميع يبارك هذا الزواج الذي كان فى نفس يوم عقد قران فاطمة ورجب.

حياة جديدة يصون فيها سعد مبروك عائلة كبيرة، الود أصل فيها، والحب يحوط جوانبها؛ ليجتمع الجمع في ذلك اليوم، ويشهد الريسان جمعة أبو شوشة وعلاء وهيب على عقدي الزواج، وتقود الست صفية بناء جديد فى أسرة صاحبتها وصديقة طفولتها ست البنات، تصون الزوج، وترعى الأبناء، ويحوطها الأحفاد، فلا مال الدنيا يغني عن راحة النفوس، ولا سوء النفوس يصلحه المال، بل طيب النفس يصنع جمال الحياة.

كلٌّ يحصد ما زرع

علي وهيب-صباح

لم تكن تلك السعادة اللحظية والساعات الجميلة المبهجة التى عاشها علي وهيب بالإسكندرية مع صباح وأمها إلا صورة مبدئية لقاتم الأيام التى تنتظر الفتى الذي ضرب بعرف الأهل عرض الحائط، ووضع نصائح الخبراء والكبراء تحت قدميه، وأقدم على الزواج من صباح رغمًا عن أهله الذين

أصابهم الحزن، لكنهم لم يقاطعوا الفتى، وظلوا على عهدهم برعايته، وما زال أخوه يحتضنه وينصحه، ولم يعدم ذلك من زيارة أمه له، وحملها إليه ما طاب من خير بيتهم وكرمهم، ولأنها الأم الحصيفة نصحت الفتى بأن ينتقل بزوجته إلى برج البرلس، لكن صباح وأمها رفضوا ذلك، وطاوعهم الفتى، وما زال الحال بخير، ينعم علي وهيب في رغد الدلال، ومأخوذ على كف الراحة، حتى تبدل حال الصيد إلى القلة، وقل المال في يد الفتى، وماتت أم صباح بغير مرض ودون مقدمات؛ لتجد صباح نفسها صاحبة المسؤولية المنفردة عنها وعن علي وهيب وعن الطفلة الصغيرة ابنتهما (هنا علي وهيب)، التي فرح بها الفتى أيما فرح، وضجرت بها الأم، ومع ضيق الحال، وتغير الظرف، وصحبة السوء التي جذبت صباح في بيئتها تطلب صباح الطلاق من علي وهيب، وتضعه أمام ضعفه، وعدم قدرته على مجاراتها فيما تذهب إليه من سوء سلوك،

فلم يجد وهو الحر صاحب المروءة إلا أن يطلب المساعدة من الريس علاء وهيب، و يحضر إليه؛ ليحكي له ما جرى من صباح، وكان يرافقه كلًا من عم جمعة والريس سعد مبروك، ويتدخل كذلك الحاج علي الحلواني؛ ليخلصوا علي وهيب من ورطته تلك بلا شماتة من أحد، لكنه درس الحياة.

تقبل صباح التنازل عن حضانة الطفلة مقابل بعض المال الزائد؛ لتأخذها الجدة لأبيها، وتسافر بها إلى برج البرلس وسط نقاء الرياح وحلال الطعام.

يعود علي وهيب صامتًا سارحًا، جريح القلب، مستوعبًا لدرس حياته الذي لن ينساه أبدًا، ماثلًا أمامه طوال الوقت في طفلته الصغيرة (هنا) التي

كان قدرها أن تكون يتيمة لأم لم تمت بعد، تدفع ثمن لحظة طيش الشباب التي استمتع بها أبوها وثمن سوء اختيار، لم تكن هي إلا نتيجة من نتائجه.

ليست خبرة الحياة مجانية، ولكن أثمان يدفعها البعض أغلى كثيرًا من عطاءات الحياة.

صافيناز-أحمد

شاهيناز*محمود

لم تكن العمة نريادا الحلواني لترضى برفض أخاها الحاج علي الحلواني خطبة إحدى ابنتيه لابنها حسام المنشاوي، مما اعتبرته جرحًا لكرامتها من أخيها، وتقليلًا من شأن ابنها، فما لبثت أن جاءت لزيارة الفتيات وأمهم، وافتعلت مشكلة لا أساس لها مع البنتين بحجة أنهما يأويان شابين غريبين في البيت، وأن ذلك الأمر يتعدى الأصول..وأن..وأن... إلى أن يحضر الحاج علي الذي أعاد الأخت إلى صوابها بحكمة ورويَّة، مُذكرها بما أقدم عليه أبوهما رحمه الله حين اختار لها زوجها، وكيف كانت الأمور متشابهة لما يفعله الحاج علي مع ابنتيه، فالزواج نصيب وقسمة قسمها الله، وما بيننا من صلة رحم وود يجب أن نحافظ عليه، ولنترك أمور الدنيا والقلوب لصاحبها يدبرها كيفما شاء؛ لتخرج العمة وقد شعرت أن شيطان النفس غلبها، وأن ما يقوله أخوها لها هو عين الصواب، فالود والمحبة وسلامة الصدر خير من المال والسطوة والنفوذ، وراحة النفس والبال خير من الشعور بالانتصار على مظلوم يدعو الله عليك في ظلمة الليل.

كان هذا لسان حال العمة نريادا الحلواني: بنات أخي هن بناتي اللاتي لم

أُرزق بهن، لذا ففرحي لهن هو فرحي لابني، اللهم اصلح لي نفسي وانزع كل غل وحسد وحقد من قلبي لأي إنسان، واصلح لي ولابني شأننا كله يا رب يا قدير.

ليبدأ الحاج علي الحلواني بعدها في حث الشابين أحمد ومحمود علي سلامة على اتخاذ الإجراءات اللازمة للارتباط بابنتيه، ولم يكذب الشابان الخبر؛ ليطيرا إلى برج البرلس، ويحضرا الحاج علي سلامة، وأمهما، والريس جمعة أبو شوشة، يحملون معهما هدايا الخطبة، ويتم الاتفاق، وينول الجميع لشراء شبكة العرسان، وترتفع الزغاريد في بيت الحاج علي الحلواني، وتعلن خطبة ابنتاه صافيناز علي الحلواني على أحمد علي سلامة، وكذلك شاهيناز علي الحلواني على محمود علي سلامة؛ ليتفق الجميع على موعد الزفاف بعد ثلاثة أشهر، فلا داعِ لأي تأجيل، فخير البر عاجله، يسر الله الأمور، ومن يسر ييسر الله له.

هكذا قال الريس جمعة وعم علي سلامة بعد أن شكرا الحاج علي الحلواني على كرمه وعطائه الجم للولدين، مما جعلهما قادرين على الوفاء بالتزامات الزواج الذي اشترط فيه الرجل أن يكون سكنهما بيته الذي بناه لهذا الغرض، ولم ينكر عليه ذلك لولا أن عم علي سلامة قال له أن ولديه لهما مثل ذلك عنده بالبرلس، فأي مكان هو لهما؛ ليبتسم الجميع على خير ما قدم له الآباء وحصده الأبناء، وهنا قال الريس جمعة مذكرًا الجميع بحديث النبي صلى الله عليه وسلم: (البر لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديان لا يموت).

١٢- أفراح البرلس

أيام تمر سريعًا، الكل في عمله وشغله يحقق هدفًا من أهداف الحياة، البعض يراها له يسعى ويتفانى بغير توقف، لا يفرق بين حلالها وحرامها، والبعض يعلمها معبرًا، فيعاتب نفسه على ما يصيب من أخطاء، ويسرع بالعودة إلى صواب الطريق، نساء ورجال، الكل في شغله، وعلى رأس عمله ينتظر خيرًا مما يعمل ويبذل.

الكل ينتظر فرحة البرلس بذلك الزواج القادم الذي سعدت به البلدة، فالحاج علي سلامة كان ريّسًا للجميع، معلمًا لهم فنون البحر والإبحار، وأبنائه من خيرة أبناء البلدة خلقًا وخلقة، وكذلك الرجل الصالح الطيب الحاج علي الحلواني الذي لم يرد يومًا أحدًا منهم في عون طلبه أو أزمة وقع فيها.

يطلب عم علي سلامة من عبودة أبو حسين وعم صبحي السبيعي تجهيز الكافيتريا وقاعة الأفراح التي ألحقت بها؛ ليكون حفل الزفاف بها على ضفاف البحيرة، وهي الليلة التي أعدَّ لها منذ أن ولد الفتيان، وقد أعد الذبيحة لضيوف اليوم، وزيَّن رجال البلدة مراكبهم بزينة الأفراح حيث ستكون جولة داخل البحيرة بتلك المراكب زفة بالبحيرة، كل مراكب البلدة جاهزة لحمل أهل العروسين، الكل تجهز تلك الليلة، ملابس جديدة جهزها الجميع، تشرق الشمس اليوم لطيفة، ونسمات الرياح هنية طيبة.

تصل ثلاث سيارات تحمل أهل العروس، يستقبلهم الحاج علي سلامة، وينزل جميعهم عند عم صبحي وعبودة اللذان طوَّرا المكان حتى أصبح

لائقًا لاستقبال الضيوف، وتصل سيارتان أخريان تحملان الفرقة وأدواتها، يقودهم مطرب البحر (متولي البرلسي) الذي صار في مكان آخر منذ أن ذهبوا للقاهرة، لكنه ما كان ليترك ليلة كهذه لغيره كي يقوم بإحيائها، فهو ابن البلدة البار، وجميل أهلها نحوه لا ينساه، ولكن من هذه المصاحبة لهم بالسيارة؟! إنها صباح، وقد اشتاقت لرؤية ابنتها (هنا)، جاءت اليوم طالبة رؤيتها، يستقبلها الأسطى عبودة، ويكرم نزولها وضيافتها، حتى أخبار علي وهيب لم يكن في حسبانهم، فقد فاجئهم الريس علاء وهيب بقيادته لسفينته التي قام ببنائها على ضفاف النيل في بحر رشيد، لقد استيقظ فجرًا، وطلب من أخاه أن يأتي معه وبعض الرجال، وذهب بهم إلى رشيد؛ ليقود مركبه الذي بناه في سرية وكتمان، ولم يكن أحد يعلم بذلك إلا في ذلك اليوم، وقد أطلق عليها اسم أفراح البرلس؛ لتكون أول السفن التي ستعمل في بوغاز البرلس الجديد.

الكل يقف على الميناء ينتظر دخول السفينة أفراح البرلس يقودها الريس علاء وهيب وأخاه علي وهيب، ما أجمل الأيام حين تضحك، وما أروع الأهداف حين تتحقق وسط فرحة وحب!!

يتم ربط أفراح البرلس على رصيف الميناء الجديد، ويعود جميع الرجال بعد أن قدموا واجب التهنئة للريس علاء؛ ليتجهزوا لتلك الليلة.

يحضر علي وهيب ابنته هنا لأمها كي تراها، وقد طلب من الست نادية جمعة والست فردوس السبيعي زوجتا عبودة أبو حسين حيث جاءتا للمساعدة في ليلة الفتيان أن يرافقا صباح حتى تنتهي من رؤية ابنتها، فلم يكن ليضعف

مرة أخرى، لقد استوعب درس حياته، وقامت أمه بخطبة إحدى فتيات البلدة له؛ ليري الجميع لحظات الندم في عيني صباح بعد أن رأت ما أصبح فيه علي وأخاه علاء، وما أنعم الله عليهم من خير وراحة بال، وما رأت من جمال الفتاة هنا علي وهيب، وتعلقها بأهلها في برج البرلس؛ ليعود علي والرجال نحو البحيرة، إنها الرابعة عصرًا، يركب الجميع مراكب البحيرة الشراعية في جولة داخل المياه وقد دقت الفرقة طبولها، وركب العرسان في مركبهم في مشهد من مشاهد الفرحة، غروب شمس اليوم على مراكب تحمل حفلًا داخل بحيرة البرلس، والضيوف من الإسكندرية مندهشين من روعة المنظر وجمال الغناء، وأهل العريسين من برج البرلس يبدون الفرحة والسعادة، ويتبارون في إظهار كل جميل عندهم من غناء وملابس وزينة وزغاريد.

ساعتان في زفة تدور داخل بحيرة البرلس على مراكبها الشراعية السريعة، يعود الجمع وقد جهزت مائدة الطعام بما طاب من لحم ذلك العجل الدسم الذي ذبح صباح اليوم، يتلوها صعود الفرقة على منصة العرس حيث جلس كلا العروسين؛ ليشدو العم متولي بأجمل الأغاني، وفي الخلف تقف صباح تنتظر السيارة لتعود إلى

الإسكندرية، تدمع عيناها ندمًا على ما قدمت، وإلى جوارها نادية وفردوس، وقد علت بطنهما بحمل كلتاهما في نفس الوقت، وعبودة أبو حسين يباشر إدارة حفل الزفاف، يجتمع إلى جواره الريس جمعة، والريس علاء، وعم علي سلامة، والريس سعد مبروك، يحيطون بالحاج علي الحلواني و

ضيوفه.

تصل السيارات، وينتهي حفل الزفاف الأسطوري بتلك البلدة، كلٌّ يعود لبيته آملًا في الله ورزق الخير القادم، حالمًا بأنوار بحر جديدة، تدور فيها شباك الشنشيلا؛ لتجلب الرزق والخير.

تمت

مارس ٢٠٢٤